



التناص أنماطه وأنواعه في شعر المتنبي

أعدت من قبل

حنان عبد الوهاب محمد شكر الدباغ

أشرف عليها

د. فاروق أحمد الهزايمة

قدمت هذه الرسالة إلى كلية الآداب كجزء من متطلبات الحصول على درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها

تشرين أول 2021

تفويض

أنا حنان عبد الوهاب محمد شكر، أفوض جامعة الإسراء بتزويد نسخ من رسالتي ورقياً أو إلكترونياً للمكتبات، أو المؤسسات، أو الهيئات، أو الأشخاص عند طلبها حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

الاسم: حنان عبدا لوهاب محمد شكر.

التوقيع: 

التاريخ: ٢٠٢١ / ٢ / ٢٠

قرار لجنة المناقشة

نوقشت رسالة الماجستير للطالبة: حنان عبد الوهاب محمد شكر الدباغ

بتاريخ: 2021 / 1 / 20

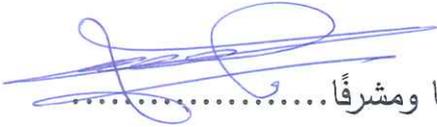
الموسومة بـ: " التناص أنماطه وأنواعه في شعر المتنبي".

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور المشارك فاروق أحمد الهزائم

أ.د. فؤاد فياض

أ.د. إبراهيم الكوفحي

رئيسًا ومشرقًا.....


عضوًا داخليًا.....


عضوًا خارجيًا.....


الإهداء

إلى روح والدي رحمه الله

إلى والدتي الغالية أطل الله في عمرها، التي أفهمتني بعفوية صادقة أن العلم هو

الحياة، وأنارت أمام عيني شموع الأمل.

أهدي لها رسالتي هذه رمزاً للمحبة، والوفاء، واعترافاً منّي بفضلها عليّ.

وإليكم يا من تزالون بجانبني ترغبون نجاحي وتقدمي، وتقدمون لي كل الوقت... وكل

الحب....وكل الدعم....

إلى إخواني وأخواتي وأصدقائي الأعزاء

لهم جميعاً أهدي عملي هذا مع المحبة والعرفان

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بعث فينا محمداً - صلى الله عليه وسلم - هادياً، وبشيراً. الحمد لله على ما أسبغ علينا من نعم ظاهرة وباطنة، فلك الحمد يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

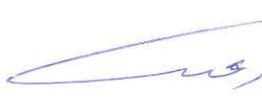
أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذي القدير ومشرفي الفاضل د. فاروق أحمد الهزائم؛ لتفضله بالإشراف على هذه الرسالة، وما بذله معي من جهد وإرشاد، ولما منحني من علمه، ووقته طوال إعداد هذه الرسالة حتى بدت كما هي عليه، فله مني كل الشكر والتقدير والاحترام.

كما أتقدم بالشكر، والجزيل، والعرفان للسادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الموقرين؛ لما سيبدونه من مقترحات قيمة تهدف إلى الارتقاء بها. جزاكم الله جميعاً عني كل خيراً وسدد على طريق الحق خطاكم.

إقرار السلامة اللغوية

أقر أنا الموقع أدناه بأن الرسالة الموسومة بـ: " التناص أنماطه وأنواعه في شعر المتنبّي " والمقدمة من الطالبة: حنان عبد الوهاب محمد شكر الدباغ، وبعد التدقيق اللغوي، والنحوي، والإملائي، تم تصحيح بعض الكلمات، والجمل، وأصبحت الآن خالية من الأخطاء. وبناءً على ما ذكر أعلاه أوقع على هذا الإقرار.

الاسم: رعد مبارك الأبراهيم

التوقيع: 

التناص أنماطه وأنواعه في شعر المتنبي

أعدت من قبل

حنان عبد الوهاب محمد شكر الدباغ

أشرف عليها

د. فاروق أحمد الهزيمة

الملخص

تهدف الرسالة إلى تناول التناص أنماطه، وأنواعه في شعر المتنبي، وذلك اعتقاداً جازماً منها، بمكانة الشاعر الكبيرة، وشهرته الواسعة.

تكونت الرسالة من مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، تناولت المقدمة عرضاً موجزاً لمفاصل الرسالة، ومكوناتها، والمنهج الذي سارت عليه الباحثة أثناء رحلتها الكتابية، والبحثية.

تناولت الرسالة في فصلها الأول الذي عنون به (المتنبي حياته وشعره)، ونشأته، وثقافته، وأغراضه الشعرية، أما الفصل الثاني فقد تعنون به (التناص أنماطه وأنواعه وأشكاله)، تناولت التناص، ومفاهيمه اللغوية، والاصطلاحية عند أبرز المنظرين لهذا المصطلح، كما عرضت أنواع التناص المختلفة، أما الفصل الثالث، والذي عنون به (التناص وأنماطه في شعر المتنبي)، فقد اشتمل على التطبيق في شعر المتنبي ابتداءً من التناص الديني في شعره وانتقالاً إلى التناص الأدبي ثم إلى التناص التاريخي، وانتهاءً بالتناص الأسطوري.

أما الخاتمة فقد جاءت عارضة لأبرز النتائج التي رصدتها الباحثة بعد رحلة

بحثها ثم أتبعَت الرسالة بقائمة المصادر، والمراجع مرتبة حسب الأصول.

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في رحلة سيرها اعتقاداً جازماً منها بأنه

الأقدر على الإعانة في تحقيق غايات الرسالة، والأنسب في تطبيق التناسل، وأنماطه

على شعر المتنبي.

الكلمات المفتاحية: التناسل، أنماط التناسل، المتنبي.

ترجمة الملخص

Intertextuality, Its Modes and Types in Al-Mutanabi's Poetry

Prepared by Student

Hanan Abdlawah'ab Mohammad Shokr Al-Dabbagh

Supervisor

Dr. Farooq Ahmad Al-Hazaymeh

Abstract

This study aims to addressing intertextuality its modes and types in Al-Mutanabi's Poetry, because of the decisive belief about the poet's great status and wide reputation.

The study consisted of introduction, three chapters and conclusion, the introduction has illustrated a brief presentation of the theses contents and components, the used method by the researcher through her writing and searching Journey.

In its first chapter the study has addressed (Al-Mutanabi, his life and poetry), his rise and his poetic surpasses, chapter two was entitled (intertextuality modes, types and forms), and has dealt with intertextuality, its linguistic concepts, and term among the most prominent theorists about this concept, also illustrated the different types of intertextuality the third chapter was entitled (intertextuality and its modes in Al-Mutanabi's Poetry) included the application to Al-Mutanabi's Poetry starting with the religious intertextuality in his poetry, moving to the literature intertextuality, then to the historical intertextuality ending with the legendary intertextuality with the conclusion came to presents the most important results reached by the

researcher after her research Journey, followed by list of sources and references organized according to the principles.

The researcher used the descriptive analytical method because of the researcher's believe that this method is more able to help in achieving the theses' objectives, and the most relevant in applying intertextuality and its modes to Al-Mutanabi's Poetry.

Keywords: Intertextuality Modes of intertextuality, Al- Mutanabi.

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	التفويض
ب	قرار لجنة المناقشة
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	إقرار السلامة العامة
و	الملخص باللغة العربية
ح	الملخص باللغة الانجليزية
ي	فهرس المحتويات
١	التمهيد
٢	المتنبي حياته وشعره
١٦	الفصل الأول: المتنبي حياته وشعره.
١٧	المبحث الأول: المتنبي اسمه ونسبه.
٢١	المبحث الثاني: ثقافة المتنبي.
٢٦	المبحث الثالث: المتنبي شعره.
٣١	المبحث الرابع: المتنبي: أغراضه الشعرية.
٣٧	المبحث الخامس: المتنبي: مكانته الشعرية.
٤٠	الفصل الثاني: التناص أنماطه وأنواعه وأشكاله.
٤١	المبحث الأول: مفهوم التناص اللغوي.
٤٥	المبحث الثاني: مفهوم التناص الاصطلاحي.
٥١	المبحث الثالث: التناص أشكاله وأنواعه
٥٥	المبحث الرابع: التناص بين النقادين القديم والحديث.
٦١	الفصل الثالث: التناص وأنماطه في شعر المتنبي.

٦٤	المبحث الأول: التناص الديني في شعر المتنبي.
٧٨	المبحث الثاني: التناص الأدبي في شعر المتنبي.
٨٨	المبحث الثالث: التناص الأسطوري في شعر المتنبي.
٩٢	المبحث الرابع: التناص التاريخي في شعر المتنبي.
٩٦	الخاتمة
٩٧	أولاً: الخلاصة
٩٩	ثانياً: النتائج
١٠٠	المصادر والمراجع

المقدمة

ما من شك بأن للشعر مكانة كبيرة عند العرب. فقد كان ديوانهم وعلمهم الذي لا علم لهم دونه، لذا جاء اهتمام العرب بالشعر بشكل لافت وكبير، فكانت ثمة خصوصية كبيرة للشعراء عند العرب، فقد كانوا يتمتعون بمكانة رفيعة وتقام لهم احتفاليات خاصة وطقوس معينة عند بلوغهم البلوغ الشعري. ولا شك أن مكانة الشعر متفاوتة من عصر لآخر حسب متطلبات الحياة وظروفها، ويلمس ذلك من خلال قراءة الشعر من خلال عصوره التي قسم إليها. ومما لا شك فيه أن ثمة عصوراً ذهبية للشعر العربي كان فيها زاهياً مزدهراً يمتاز بأساليبه وما هيأته وبعد العصر الجاهلي الأساس الذي انطلق منه الشعر العربي. وبعد القاعدة الرئيسية لتأسيس الشعر، فقد كان له مكانة رائدة. ولم يكن العصر الجاهلي وحده المتميز بجودة الشعر، بل نجد أن هناك عصوراً لاحقة تميزت بجودة الشعر ومنها العصر العباسي الذي تميز بنضجه وفنيته العالية، فقد كان لقضية التأثر والتأثير دور كبير في ازدهار الشعر العباسي حتى أن الشعر صار يحوي رؤى فلسفية ومنطقية وغير ذلك. وبرع شعراء كثير في هذا العصر نذكر بعضهم بشار، أبا تمام، البحتري، المعري، المتنبّي. إذ برع هؤلاء وغيرهم بالشعر ودارت حولهم العديد من الدراسات النقدية والأدبية والقديمة لأهميتهم وقيمتهم الكبيرة.

ومن الشعراء الكبار الذين شغلوا الدنيا بشعرهم .. المتنبي الذي اعتلى قمة هرم الشعر وانقاد له الكلام حتى صار العالم الأبرز في الشعر بين شعراء عصره.

تميز شعر المتنبي بالحكمة والعمق الدلالي والتفاخر بالذات، ولأهمية هذا الشاعر في الدرس الأدبي العربي أرتأت الدارسة أن يكون المتنبي موضوع دراستها.

لم ترغب الدارسة بتناول المتنبي من زاوية واحدة وهي التنظير، بل ارتأت أن تختار قضية نقدية لها من القيمة والمكانة ما للمتنبي من قيمة ومكانة، فق ظهرت جملة كبيرة من المصطلحات النقدية في العصر الحديث منها التناص، الذي يعد من النظريات النقدية الحديثة التي تتجه للقارئ والنص، وكان لجهود (جوليا كريستيفا) أثر كبير في تجلية مصطلح التناص وإزالة ما اكتنفه من غموض ولبس، واكتسب المصطلح على يدها شيوعاً وأصبح فكرة سائدة في الممارسات النقدية ولم يتوقف الاهتمام بالتناص على جهود (جوليا كريستيفا) بل انشغل عدد من النقاد الغربيين أمثال: (جيرار جانييت) و(رولان بارت) و (جاك دريدا) وغيرهم بالتناص. وقدموا كما قدمت (جوليا كريستيفا) تحديات للمصطلح وتحديثوا في ماهيته وأنواعه وعلاقته مع غيره من المصطلحات الأخرى.

وحيث أنه كان للأدب العربي مكانته الشعرية في فترة ذروته في العصر العباسي، فقد اشتغل عدد من الشعراء أمثال المتنبي على التناص لتأثره به فأدخله

في موضوعاته الشعرية، وقسمه إلى أربعة أنواع: التناص الديني، والأدبي، والأسطوري والتاريخي.

وفي العصر الحديث، أشارت (كريستيفا) إلى فكرة التناص التي تقوم على مصطلحات تلاقي النصوص بين نص وآخر، أو فاصلة بين نص ونص آخر، وقد أشارت كريستيفا إلى مفهوم التناص على أنه توصيف لولادة النص، فكل نص يبني من فسيفاء من الاستشهادات فكل نص هو امتصاص وتحويل لنص آخر.

وجدت الباحثة أن ثمة إمكانية كبيرة لتطبيق مصطلح التناص على الشعر، وبما أن الشاعر المقصود هو المتنبي، وجدت الباحثة أن تعنون رسالتها ب: التناص أنماطه وأنواعه في شعر المتنبي، وهي بذلك تجمع بين الدراسة التطبيقية للتناص وللشاعر وحياته وأغراضه، ثم التطبيق على شعر المتنبي من خلال تبيان التناص وأنواعه بشعر المتنبي، ومن أجل إتمام الفائدة وتحقيق غاية الدراسة توزعت الدراسة في مقدمة وثلاث فصول وخاتمة مطبوعة بالمصادر والمراجع.

تناولت في مقدمتها مسحاً شاملاً وتفصيلاً لمكونات الدراسة ولمناهجها والفرضيات والتساؤلات التي انبنت عليها.

ثم جاء الفصل الأول، معنوناً بـ (المتنبي حياته وشعره) وتناول حياة المتنبي وشعره ومكوناته الثقافية ومكانته الشعرية بين شعراء العربية والأغراض التي برع بها المتنبي وتميز بها.

أما الفصل الثاني الذي تعنون بـ (التناص: أنماطه وأنواعه وأشكاله) فقد اشتغل على نظرية التناص للمفاهيم اللغوية منها والاصطلاحية عند أبرز المنظرين الغربيين والعرب. كما تطرق لأنواع التناص ومستوياته المتعددة حتى وصل إلى فهم كامل يؤهل الدراسة إلى تطبيق حيثيات التناص على شعر المتنبي.

أما الفصل الثالث المعنون بـ (التناص وأنماطه في شعر المتنبي) فقد كان تطبيقياً بحثاً، إذ قامت الباحثة بدراسة شعر المتنبي دراسة واعية رصدت فيها ما استأنست أنه قابل للتطبيق نظرية التناص عليه، إذ وجدت كما كبيراً في شعره لمست فيه تأثر الشاعر بالدين والتراث والتاريخ والأسطورة وعليه أقامت دراسات نصية على شعر المتنبي.

أما الخاتمة، فقد بينت ما توصلت إليه الباحثة من نتائج وتوصيات بعد رحلة عملها مع شعر المتنبي والتناص.

أما المنهج الذي اشتملت عليه الدراسة فقد كان المنهج الوصفي التحليلي الذي وجدت فيه الباحثة ضالتها، إذ أنه الأقرب والأففع لدراسة شعر المتنبي والتناص.

وبحسب الدراسة هناك العديد من الدراسات التي تناولت موضوع التناص لتحقيق جملة من الأهداف التي يقف على رأسها التعرف على مفهوم التناص وأصوله ونشأته وهل كان مسبقاً؟ أم لا؟ كما تهدف إلى التعرف على أنواع التناص وأنماطه ثم تطبيق ذلك على شعر واحد من كبار شعراء العرب وهو المتنبي، ثم دراسة بعض النصوص الشعرية دراسة فنية وإففة.

ومن جملة فرضيات الدراسة

١. هل التناص مصطلح حديث؟

٢. هل كان التناص مسبقاً بجملة من المصطلحات؟

٣. هل ثمة صلة بين التناص وغيره من المصطلحات؟

٤. هل ثمة علاقة بين التناص والسرقاا الأءبفة؟

مشكلة الدراسة: Study Problem

يعد التناص من المصطلحات النقدية الجديدة، وقد تناوله كثير من النقاد الغربيين والعرب بالدرس، وأولوه عناية خاصة، كما وظفه الأدباء والشعراء في أعمالهم الأدبية شعرية كانت أم نثرية.

وقد نلمس اهتمام الدارسين به من خلال المصنفات النقدية والأدبية التي ركزت على تناوله بشكل مفصل، ما يلفت النظر في دراسة التناقص عند بعض الدارسين، تناولهم له تنظيراً أو تطبيقاً، لذا تسعى هذه الدراسة إلى الإحاطة بالتناص من جميع الجوانب، النظري منها والتطبيقي في شعر واحد من كبار الشعراء العرب وفحولهم وهو المتنبي.

أهداف الدراسة: Study Objectives

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، يقف على رأسها التعرف على مفهوم التناص، أصوله ونشأته، وهل كان مسبقاً؟ أم لا؟ كما تهدف إلى التعرف على أنواع التناص وأنماطه، ثم تطبيق ذلك على شعر واحد من كبار شعراء العرب وهو المتنبي، ثم دراسة بعض النصوص الشعرية دراسات فنية وأفية.

فرضيات الدراسة: Study Hypothesis

١. هل التناص مصطلح حديث؟
٢. هل كان التناص مسبقاً بجملة من المصطلحات؟
٣. هل ثمة صلة بين التناص وغيره من المصطلحات؟
٤. هل ثمة علاقة بين التناص والسراقات الأدبية؟

أهمية الدراسة: The importance of the study

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الغايات أبرزها الإلمام والأحاطة بمفهوم التناص وأنواعه وأنماطه، وصلته بغيره من المصطلحات المتقاربة معه دلاليًا كالتضمن والاقتراب والسراقات الأدبية، كما تسعى الدراسة إلى التنقيب في الجذور والأصول العربية الموازية للتناقص دلاليًا، لن تكتفي الباحثة بالوقوف على مفهوم التناقص تنظيراً بل ستتجاوز ذلك إلى دراسات نصية في شعر المتنبي كاشفة عن مدى استحضر المتنبي للنصوص الغائبة على اختلاف نوعها تراثية كانت أم أسطورية أم أدبية أو دينية.

الدراسات السابقة: Literature review

تناول التناص عدد كبير من الدارسين الذين انشغلوا بهذا المصطلح النقدي، فقد كان مدار بحث ودراسة عند المحدثين، وتوزع اهتمام الدارسين بالتناص وأثره في الأدب بين الدراسات التنظيرية مرة، والدراسات التطبيقية مرة أخرى، والجمع بين التنظير والتطبيق مرة ثالثة.

وقد جاءت الدراسات موزعة بين المصنفات النقدية ك(كتب) والأبحاث العلمية والرسائل الجامعية، ومن أبرز هذه الدراسات:

- الأسدي، عبد الستار: التناقص، السرقة الأدبية والتأثير (بارت كريسوف باختين...
النقاد العرب الحديثون).
- البقاعي، محمد خير، ترجمة: آفاق التناصية، المفهوم المنظور، الهيئة المصرية،
١٩٩٨.
- الجعافرة، ماجد ياسين، التناص والتلقي دراسات في الشعر العباسي، جامعة اليرموك،
٢٠٠٣.
- عزام، عبد الوهاب: ديوان أو أبي الطيب المتنبي، تعليق، مطبعة الثقافة الدينية.
- عوض، إبراهيم: المتنبي دراسة جديدة لحياته وشخصيته.
- الهاشم، جوزيف: أبو الطيب المتنبي دراسة نصوص، دار المفيد.

منهج البحث: Research Methodology

عمدت الباحثة لاختيار المنهج الوصفي التحليلي، من بين المناهج المتاحة اعتقاداً منها بأنه الأقرب لخدمة دراستها.

تقسيم الدراسة: Study Contents

توزعت الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول ثم خاتمة وقائمة المصادر والمراجع وكانت على النحو الآتي:

الفصل الأول: المتنبّي حياته وشعره.

الفصل الثاني: التناص أنماطه وأنواعه وأشكاله.

الفصل الثالث: التناقص وأنماطه في شعر المتنبّي.

الخاتمة والنتائج والتوصيات

التمهيد

المتنبي حياته وشعره

المتنبي حياته وشعره

تتميز اللغة العربية عن اللغات العالمية الأخرى باحتوائها على طاقات تعبيرية
كامنة بين عباراتها، لذلك يعتمد الشعراء من خلال أشعارهم على كشف تلك الطاقات
وتحريرها، للتعبير عما يكتنفهم من شعور في الحياة التي يعيشون فيها، فاللغة ليست
تراكمًا للكلمات بل هي صور تمثل معانٍ مستقرة في الذهن عن الواقع الذي يعيش
فيه هؤلاء الشعراء.

والشعر فن هدفه الأسمى التصوير، ولكل فنان أدواته، وأداة الشاعر كلماته،
ويقدر براعته في تصوير امتزاجه بالوجود من حوله، وامتزاج الوجود فيه يكون ناجحاً
ومؤثراً. وقد تتبّه العديد من السابقين إلى أهمية التصوير في الشعر، فقال الجاحظ
"الشعر صياغة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"^(١).

وليس من عمل فني تمتزج فيه روح الفنان بالطبيعة وعناصرها كما هو الشأن
في التصوير الشعري لما له من خصوصية لا نجدها في غيره من الفنون، ونقصد
بالتصوير الفني ذلك الذي يكون غير مباشر، وهو "الذي يكون التخيل جوهره، الذي
يعمد فيه المبدع إلى إعادة تنسيق عناصر صورته بما يتماشى وذذبته الشعورية،
وبشكل مختلف عما لها من بعد في الواقع العياني المرصود، وعما تحمله من دلالة

١- الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، الحيوان، عبد السلام هارون، المجتمع العربي الإسلامي، بيروت، ص ٣٠.

لغوية بعد أن يكتشف مجاله من نكاء وبراعة وفطنة العلائق التي تصح مثل هذا التنسيق والربط بينه وبين ما لعناصره من أبعاد حقيقية أي بين الدلالات اللغوية لعناصر الصورة، وبين ما أراد المبدع أن تكون معبرة عنه ودالة عليه من أفكار ومشاعر" (١).

"إن الكون الشعري يحتوي على كل هذه الجوانب والفكرة، لذا فإن البحث عن الكون الشعري هو البحث عن الصورة ودلالاتها وعن الفكرة والشعور، فليس الأثر مجرد انعكاس أو رسم وإنما هو فتح وخلق، ونتعرف على الصورة بما فيها من قدرة على الكشف والصيرورة فهي تتضمن وجود التشابه والتضاد في آن واحد" (٢).

و"الشعر باب العربية، والشعراء الكبار هم أقدر الناس على معرفة أسرار العربية، والوقوف على دقائقها، ثم الحرص عليها، ثم الذود عنها، وما كان ذلك إلا لأنهم قرأوا فأكثرها القراءة، وحفظوا فوجدوا الحفظ، ولن تجد شاعرًا كبيرًا إلا ووراءه رصيد ضخم من القراءة المحيطة الجامعة للغة في مجالاتها المختلفة، ويظهر هذا الرصيد فيما يسميه أهل زماننا "المعجم الشعري" للشاعر: حروفًا وأبنية وتراكيب ودلالة" (٣).

١- ناجي، مجيد عبد الحميد (١٩٨٤)، الصورة الشعرية، الإحكام، السنة ١٩، عدد ٧٤، بغداد، ص ٥.
٢- إسماعيل، عز الدين (١٩٨١) الشعر العربي المعاصر قضاياها، وظواهره الفنية المعنوية، دار العودة، بيروت، ص ١٤٣. وانظر: عباس، إحسان (١٩٧٨) اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، الكويت، ص ١٨.
٣- د. أحمد علي الجارم، علي الجارم لغويًا ونحويًا، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٣٣.

وعلى مرّ التاريخ كانت للعظماء بصمات واضحة، وهذه البصمات لا يمكن محوها مهما طالّت السنين، وتبقى آثارهم هي الشاهد على إبداعهم في مجال من المجالات، سواء في التاريخ أو السياسة أو الشعر أو غير ذلك من المجالات الأخرى، ومن الشعراء الذين شهدت لهم الأجيال بتفوقه وإبداعه بين أقرانه الشاعر الفذ أبو الطيب المتنبي، هذا الشاعر الذي عاش رديحاً من الزمن معتداً بنفسه، مفتخراً بشجاعته وبطولته، وحسن علاقته مع ممدوحيه^(١).

يُعد أبو الطيب المتنبي شاعراً متميزاً بين شعراء العربية، وهو بعيد الأثر في حلقات الأدب، وقد اهتم العديد من الباحثين بدراسة حياة الشاعر، وذكر صفاته، الأغراض الشعرية التي تناولها، وقد كان شعره متقبلاً لدى العديد من الفئات ولقب بشاعر الإمارات^(٢).

كما اهتم العديد من الباحثين بشرح ديوانه، كما تم نقده من قبل العديد من الشراح في عصره، وكذلك تم تناول العديد من الموضوعات التي برز فيها الشاعر ومن ذلك تفسير غريب شعره، والبعض الآخر قام بإبراز مجموعة من المعاني والصور في قصائده، ومنهم من وقف أمام شعره لينهلوا من معين هذا الشعر، الأمر

١ غانم، رولا خالد، الآخر في شعر المتنبي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠١٠، ص ١.

٢- المقدسي، أنيس، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٥، ص ٣٤٩.

الذي يؤكد على تلك المكانة التي حظي بها المتنبي في عصره وحتى وقتنا الحاضر^(١).

لقد عبر المتنبي عن آلام أمته وصور في شعره ما كانت ترزخ تحته من مظاهر الشقاق والتناحر والذل. وسلك سبيل القوة والحرب الضروس لمعالجة هذه الأدواء وترك رصيماً ضخماً من الشعر الذي يوقظ الهمم الخاملة ويدعو إلى الجهاد، وينظم الدفاع عن الوطن^(٢).

وقد صور شعره الحياة القومية في عصره، وصور الحياة الأدبية والفكرية، وجاء فيه تصوير للصراع بين الحقائق الواقعية والمثل العليا والألم والأمل واليأس والرجاء، كما فيه صورة مشرقة لثورته النفسية التي كانت مليئة بالتشاؤم، ودعوته الاجتماعية النظرية التي تدعو للقوة والطموح^(٣).

وقد كان أبو الطيب المتنبي متوقد الذكاء حتى لقد روي أنه حفظ كتاباً نحو ثلاثين ورقة من نظرته الأولى إليه ويعتبره البعض إماماً من أئمة اللغة في القرن الرابع الهجري، وقد ارتحل إلى العديد من البلاد كبغداد والشام وأخذ يمدح جماعة من رؤساء العرب وكان شعره في الشام يلهج بالثورة، وطلب المجد والسؤدد، وكان يرى

١- شلبي، محمد اسماعيل، مقدمة القصيدة عند أبي تمام والمتنبي، القاهرة، دار غريب للطباعة، ص ٥.

٢- الساعد، حسني، الحرب والفروسية في شعر أبي الطيب المتنبي، عمان، دار الضياء للنشر والتوزيع، ٢٠٠١، ص ٧.

٣- اسماعيل، عز الدين، نوابغ الغرب أبو الطيب المتنبي، د.ط، بيروت، دار العودة، ١٩٧٤، ص ٩٥.

أن السبيل إلى ذلك هو الكفاح، ومصارعة الخطوب، وقد استطاع أن يجذب إليه
قبيلة بني كلب، وأن يهيئ أفرادها للثورة والعصيان^(١).

وترى الباحثة أن الشاعر المتنبي كان شجاعاً جريئاً يهاجم كل من يحاول
الانتقاص منه، وقد كان مميزاً في الفنون الشعرية والمعارف بما يبين مدى الأهمية
لدراسة شعر الشاعر أبو الطيب المتنبي.

١- بك، محمد كمال، أبو الطيب المتنبي حياته، خلقه، وشعره، دمشق، مكتبة سعد الدين، ص ١٠.

الفصل الأول

المتنبي حياته وشعره

المبحث الأول: المتنبي اسمه ونسبه.

المبحث الثاني: مكونات ثقافة المتنبي.

المبحث الثالث: المتنبي شعره.

المبحث الرابع: المتنبي: أغراضه الشعرية.

المبحث الخامس: المتنبي: مكانته الشعرية.

المبحث الأول: المتنبي اسمه ونسبه

ظهر الشاعر أبو الطيب المتنبي في الدولة العباسية، وكانت الحقبة التي عاش فيها المتنبي قد عكست بشكل واضح مدى تميز هذا الشاعر، ومستوى الأدب الذي غلّفه، لقد كان شاعراً متميزاً نال استحسان الخلفاء والأمراء والممدوحين، حتى أنه نال استحسان الأعداء لما كان لشعره من وقع في نفوس الآخرين^(١).

وهو أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي، وقد لقب بالمتنبي كما لقب بأبي الطيب^(٢).

هو الشاعر الفذ، المفرد العلم، ورب السيف والقلم: أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي.. ولد في محلة كندة بالكوفة سنة ٣٠٣هـ من الهجرة، من أسرة خافضة (الطنب) حبل تشد به الخيمة والسرادق، ولحظ فيه أبوه مخايل النخابة (أفضل ما يختار منها الشيء) فأدخله إحدى المدارس العلوية.. وحدث أن أغار القرامطة (فرقة اسماعيلية إقامة ثورة في الكوفة) على الكوفة سنة ٣١٢هـ، فانتقل به أبوه إلى بادية السماوة وأقام بها عامين ينهل من ينابيع اللغة الأصلية. كما هاجر إلى

^١ - عزام، عبد الوهاب، ذكر أبي الطيب بعد ألف عام، بغداد، مطبعة الجزيرة، ١٩٩٦، ص ٢٧.

^٢ - الجندي، أنعام، الرائد في الأدب العربي، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٦، ص ١٥٠.

العلماء وصاحبهم ومنهم: نَفْطويه (أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة) ومحمد بن زريد وأبو القاسم البغدادي (صاحب مكتبة رقمية)^(١).

المتنبي - أو "المتنبأ" - كما يُسميه المغاربة - كوفي المولد (سنة ٣٠٣هـ)، وضع المنبت، عربي الأصل، يتعصب للعربية، ويطعن في الأعاجم قبل اتصاله بهم. نشأ نشأة بدوية وحافظ على بداوته رغم تحضره. وفي البادية أخذ اللغة. وفي بادية السماوة - وهو في العشرين من عمره - قام بالدعوة المختلف في شأنها: أكانت نبوة، أم طلباً للفتح. وهل ادّعاها هو، أو ادّعاها عليه قوم آخرون، ولعلها كانت مرضاً عارضاً؟ والأرجح أنها كانت طمعاً في دنيا يصيبها. ويظهر أنه قد حضّته على خروجه ظروف تدعو إلى الفتنة، كانقسام الأمة على نفسها، بتخاصم العناصر والأجناس، وضعف الدولة، واضطراب أمورها، وظهور أصحاب البدع والمذاهب من كل نوع، وشيوع التعاليم الغربية عن روح الإسلام، وضياع مهابة الخلافة بذهاب سيادتها الفعلية، وانفراج مسافة الخلف بين الراعي والرعية، وحيف القابضين على أزمة الأمور من أمراء وقوّاد ووزراء، ناهيك بأوقات الحرج التي هيمن فيها الخدم والنساء على شؤون الإسلام^(٢).

١- زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٣، ص ١٤.
٢- الحاتمي، محمد بن الحسن، الرسالة الموضحة في ذكر السرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره، تحقيق محمد يوسف النجم، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥، ص ١٩.

أما بالنسبة لسنة مولده فقد قال ابن حمزة البصري: سألت المتنبّي عن مكان ولادته وسنة الولادة فأجابته لقد ولدت في الكوفة في كندة سنة ثلاثمائة، وكانت نشأتي في البادية والشام^(١).

وقد كانت نشأة الشاعر أبي الطيب المتنبّي في بيئة دموية من وقت لآخر، كما كان كثير التردّد بين البادية والحضر، وهذا أكسبه الصلابة والنزعة البدوية، كما استفاد العلوم والثقافة الأدبية وقيل أن أباه سلمه إلى المكاتب وورده في القبائل^(٢).

كان دائم الاتصال بالقبائل ومن ذلك قبائل بني كلب، وكان مدركاً لنزعاتهم إلى التمرد، وقد استطاع من خلال بلاغته أن يحرك هذه القبائل تحركاً يلفت نظر الحكام في ذلك الوقت، ولم يكن يوماً يشعر بالأمن في مدينة بغداد؛ لأنه كان قرمطي الهوى، فكان يخرج منها دائماً خائفاً.

وارتحل إلى مناطق عدة ومن ذلك بلاد الشام، وهناك كان يمدح الأعيان، واتصل بعدد من الأمراء ومن هؤلاء بدر بن عمار، فلزمه ومدحه، وبعد تدخل الحساد ترك الأمير وعاد للتعقل مرة أخرى، وقد مدح العديد من الأشخاص ومن هؤلاء شجاع الطائي، وعبدالله بن خلكان وغيرهم، ثم وصل أخيراً إلى أنطاكية،

١- ريجيس بلاشير، أبو الطيب المتنبّي: دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٥، ص ٤٣.

٢- المقدسي، أنيس، أمراء الشعر العرب في العصر العباسي، مرجع سابق، ص ٣٢٧.

وهناك مدح أبا العشائر الحمداني الذي أوصله لسيف الدولة وأخذ يمدحه وحظي منه
بالمال الوفير^(١).

عرّف أبوه معيدان السقاء وقد نال هذا اللقب لأنه كان يسقي الماء على بعير
يحمل قريتين، ملقب بهذا اللقب، ماتت أمه وهو صغير السن فكفلته أمه لجدّه^(٢).
وقد كانت نشأته في الكوفة في بداية حياته، وقد كان فقيراً، إلا انه كان طموحاً، وبدأ
أول خطواته بالاختلاف إلى كتاب لأولاد الأشراف العلويين، فتعلم اللغة العربية إعراباً
وشعراً^(٣).

"وقد صاحب الأعراب في البادية كمصدر للفصاحة ولسليقتهم السليمة ولغتهم
الصافية كما أنه لازم الوراقين واستفاد من كتاباتهم وباعى الكتب لما حملوه من ثقافة
متنوعة واطلاع واسع وساعده في ذلك قوة الحفظ لديه"^(٤).

١- أبو الخشب، إبراهيم، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، الاسكندرية، الهيئة المصرية للكتاب،
ص ٢٥١.

٢- شامي، يحيى، شرح ديوان المتنبي، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٩٧، ص ٦.

٣- الروضان، عبد عون، موسوعة شعراء العصر العباسي، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ص ٢٢٤.

٤- البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٠، ص ٨.

المبحث الثاني: مكونات ثقافة المتنبي

ظهر تأثر المتنبي بشعراء عدة في عصره حيث "اتجهت ميوله غريزياً إلى أكثر مداحي العصر السابق "أبي تمام والبحتري" ويعيد طوال حياته قراءة شعرهما متمثلاً به، وقد مدح مدحيين أبا الفضل الكوفي ولزمه وكان من علماء الفلسفة فلزمه ودروس عليه^(١).

لقد كان عصر المتنبي مليئاً بالعلم في شتى منابعه، وكثرت المؤلفات في عصره وظهر العديد من العلماء، ومن أبرز علماء عصره ابن سينا، كما ظهر العديد من الشعر ومن هؤلاء كشاجم^(٢). وقد سمي المتنبي بذلك لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة من أعمال الكوفة، فخرج له أمير حمص لؤلؤة فقبض عليه ووضع في السجن فتوسل إليه من خلال قصيدة ليسترد حريته حيث قال:

تعجل في وجوب الحدود وحدي قبل وجوب السجود

فاستجاب له الأمير واستعاد الحرية بعد إمضائه سنتين في السجن.

١- الأصفهاني، أبو القاسم، الواضح في مشكلات شعر المتنبي، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦، ص ١٦.

٢- ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، القاهرة، دار المعارف، ديت، ص ٣٠٤.

تباينت أخلاق المتنبي حيث كان قدوة حسنة للناس تارة، وكانت أخلاقه سيئة تارة أخرى، وهذا كله نتاج الحياة مختلفة الظروف التي عاشها المتنبي والتي تعرض لها خلال رحلته الطويلة، وقد حكى (علي بن حمزة البصري)^(١) في ذلك قال: "بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة وتلك أنه ما كذب، ولا زنى، ولا لاط (لحق به أو نسبه إليه)، وبلوت منه ثلاث خلال ذميمة وتلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن"^(٢).

تأثر شعر المتنبي بالعديد من العوامل منها^(٣):

١- الروافد الثقافية: ظهر المتنبي في عهد الخلافة العباسية، حيث كانت الدولة تعاني الكثير من الضعف والهوان، فكان المتنبي يرثي الدولة ويحاول إيقاظها بأشعاره، وكان هناك السلاطين والأمراء الذي انكب المتنبي على مديح بعضهم كسيف الدولة الحمداني.

٢- الإحاطة باللغة والأدب: فقد كان المتنبي يحبّ التعلم ويسعى للحصول عليه، وقد اكتسب القوة في اللغة والبلاغة من الفترة التي قضاها في البادية. المجالس الأدبية: كان الكثير من السلاطين في تلك الفترة يهتمون بالشعر والأدب وينظمون مجالس

١- علي بن حمزة أحد الأئمة في الأدب وروى عنه ابن جني شيئاً من أخبار المتنبي لأن المتنبي عندما ورد بغداد نزل ضيفاً عليه إلى أن رحل.

٢- يوسف أحمد الشبراوي، أطلس المتنبي (أسفاره من شعره وحياته) عمان، دار الفارس للنشر، ٢٠٠٣، ص ٩٠.

٣- الروضان، عبد عون، موسوعة شعراء العصر العباسي، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

أدبية يحلم كل شاعر أن يكون جزءاً منها، لكن الوصول إليها لم يكن سهلاً، ولأنّ المتنبّي كان على علاقة حسنة مع السلاطين، فقد كان يشارك في هذه المجالس عند إقامتها.

وترى الباحثة أن المتابع لأشعار المتنبّي يجد أنه قد نفى ما قيل عنه من الشح والبخل وحب المال، فقد وصف نفسه يعطي المال الكثير في الأمر اليسير.

سبق وبيّنّا أن الشاعر قد ارتاد الصحراء ومنها تعلّم الفصاحة والبلاغة، (وقد ذكر الخطيب) البغدادي أن الشاعر قد أرسل إلى الصحراء ومنها اكتسب الفصاحة والبلاغة إذ يقول: "أنه نشأ بالشام وأكثر المقام بالبادية وطلب الأدب وعلم العربية ونظر في أيام الناس وتعاطى قول الشعر من حدائته حتى بلغ فيه الغاية التي فاق أهل عصره وعلا شعراء وقته"^(١).

وهذا يعني أن الشاعر قد اكتسب لغة عربية خالصة من بادية الكوفة وبغداد، وبادية الشام، وقد ذكر أنه كان يعرف خفايا اللغة، وذكر ابن خلكان: "أن الشيخ أبا علي الفارسي صاحب (الإيضاح والتكملة) قال له يوماً: "كم لنا من الجموع على وزن

(١) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، تراخي بغداد، القاهرة، دار الغرب الإسلامي، ١٠٢/٤.

يغلى؟ قال المتنبي في الحال: حجلي وظري قال الشيخ أبو علي: فطالعت كتب اللغة لثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد^(١).

كما تأثر المتنبي بالفلسفة وذلك من خلال فلسفة بعض معلميه ومن هؤلاء أبي الفضل وقد لوحظ أنه تأثر بذلك في شعره، كما تأثر المتنبي من مطالعة دواوين الشعراء الذي سبقوه من الفحول فقد روى ابن جني أن المتنبي كان يحفظ ديواني الطائيين ويستصحبهما في أسفاره^(٢).

وترى الباحثة أن رحلة الشعر عند أبي الطيب المتنبي كانت رحلة طويلة، وقد ظهرت معه عندما كان صبيّاً في الكتاب، وقد أثرت في شعره الظروف المختلفة، حيث تجوّل في الآفاق يبحث عن حياة أفضل عند أناس أفاضل لذلك لم تستقر به الحياة منذ نعومة أظفاره حتى مات.

التحق الشاعر أبو الطيب المتنبي بسيف الدول بن حمدان الذي أعجب كثيراً بشعره، فطلب منه أن ينضم إلى بلاطه، ومنذ ذلك الوقت أصبح شاعراً لسيف الدولة

١- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،، تحقيق يوسف علي طويل، ومريم قاسم طول، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٢٠/١٠.
٢- ابني جني، أبو الفتح عثمان، الفتح الوهبي علي مشكلات المتنبي، تحقيق محسن عياض، بغداد، مطبعة الجمهورية البغدادية، ١٩٧٣، ٣٥٠/٢.

الحمداني حيث أقام عنده لمدة تسع سنوات، وفي هذه المدة نظم (٣٨) قصيدة
و(٣١) مقطوعة^(١).

وبعد ذلك توجه إلى مصر حيث مدح واليها كافور الأخشيدي، ولكنه لم يحظ
بقبول كبير ولم تلبى له رغباته، فهجاه وغادر مصر ثم ذهب لبغداد ثم بلاد فارس ثم
مر بإرجان فشيراز (أكبر مدن إيران) ومدح عضد الدولة^(٢).

وعندما عاد إلى بغداد تعرض له "فاتك الأسدي" (وفاتك بن جهل وهو من
قتل المتنبّي) وعدد من أصحابه، وكان مع المتنبّي عدد من أصحابه، فقاتلوه، فقتل
المتنبّي وابنه محمد وغلّامه مفلح في منطقة النعمانية، في سنة ٩٦٥ هـ في
رمضان^(٣).

وترى الباحثة أنه في ذلك التاريخ خمدت نفس المتنبّي النزاعة إلى المجد،
والتي كانت حريصة على غرور الدنيا فحملت صاحبها تارة على تجشم الأموال
وطوراً على الوقوف في أبواب السلوك طمعاً في جاه تتاله ولكن هذه النفس الأبيه
باعت بالفشل تاركة لنا الحكم البالغة ما لا يزال على ألسنة الزمان تردده في كل
مكان.

١- المقدسي، أنيس، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، مرجع سابق، ص ٣٣١.

٢- المحاسني، زكي، المتنبّي، القاهرة، دار المعارف، دت، ص ١٣.

٣- الفاخوري، حنا، الجامع في الأدب العربي، بيروت، دار الجليل، دت، ص ٧٩١.

المبحث الثالث: المتنبي شعره

تحدثت الكتب عن أن الشاعر المتنبي قد وصف بالنبوة وأنه كانت له معجزات عدة ومن ذلك أنه كان يحبس المطر، وبسبب ذلك فقد سجن عدة مرات وكان دائماً يستعطف الوالي كي يخرج من السجن^(١).

وبعد أن خرج من السجن امتهن الشعر وذهب إلى أماكن متعددة في جهات الشام لمدح الأمراء، وقصد كثيراً من العشائر ومنه اتصل بسيف الدولة الحمداني، صاحب حلب. فأقام في ذراه، وسجّل ذكرى حروبه مع الروم في شعر غزير المادة، حافل بالفرائد النادرة.

ثم قام بين أبي فراس الشاعر، أحد أقرباء الأمير، وبين المتنبي نزاعٌ شديدٌ، هدّد مركز الشاعر عند أميره، تبعه خصام مع الأمير، وبين ابن خالويه النحوي، خرج منه أبو طيب مشجوج الوجه، يسيل دمه على ثيابه. فانصرف من حاشية سيف الدولة بعد أن قضى بها نحو العشر سنوات (٣٣٧-٤٣٦) (٢).

١- المقدسي، أنيس، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، مرجع سابق، ص ٣٣٥
٢- الشكعة، مصطفى، أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٣، ص ٩.

وترى الباحثة أن هذه الأبيات الشعرية قد اتصفت بالقوة وقد جرت على عروض الشعر، كما تبين هذه الأبيات بعد تحليلها أن الشاعر متمرس على قول الشعر، وهذه الأبيات تدل على أن تجربته بالشعر لم تكن مكتملة حيث أن الشاعر لم يثبتها في ديوانه.

أما المرحلة الثانية فقد مرحلته وهو موجود في حلب، وتنتهي هذه المرحلة بالفترة التي قضاها الشاعر في بلاد سيف الدولة الحمداني، وسميت قصائده في هذه الفترة بالسيفيات (لأنها كانت في زمن ابي فراس الحمداني) ، أما قصائده التي نظمها ضد الروم فتسمى بالروميات، وقد دلت هذه المرحلة على النضج الشعري والعنفوان، وثقافته، وقد اقتصر أشعاره في هذه الفترة على مدح سيف الدولة الحمداني، وكان قبله في شيء من الإعسار، حتى روي أنه مدح بدون العشرة أو خمسة من الدراهم^(١).

وترى الباحثة أنه بالرغم من أن المتنبّي قد احتل مكان الشعراء عند سيف الدولة إلا أنهم كانوا يعترفون له بالفضل في بعض أشعاره ولكن منهم من أغر صدر سيف الدولة عليه ومن هؤلاء أبو فراس الحمدان ابن عم سيف الدولة الحمداني.

١- يوسف، أحمد، أطلس المتنبّي، مرجع سابق، ص ٩٣.

وقد كان المتنبي دوماً يحاول أن يبارز شعراء بلاط سيف الدولة الحمداني

حيث كان يظهر عدم اكتراثه واهتمامه بهم ومن ذلك قوله:

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
وأتعب من ناداك من لا تجيبه وأغيط من عاداك من لا تشاكل^(١).

وترى الباحثة أن ما اتصف به شعر المتنبي في هذه المرحلة بأنه من الشعر الجيد الذي أشاد به الأنداد، وقد بين المتنبي أنه بلغ شأناً كبيراً في هذه المرحلة حتى أنه ينام قريراً، بينما يسهر الآخرون لتحصيل الشعر والأدب.

أما بالنسبة للمرحلة الثالثة وتبدأ منذ انتقال الشاعر إلى مصر، وتمتد حتى رجوعه مرة أخرى إلى الكوفة، وقد سميت القصائد التي ألقاها في هذه المرحلة كما عرف في تاريخ الأدب بالكافوريات، حيث قيلت معظمها في كافور الأخشيدي، سواء مدحاً أو هجاءً^(٢).

١- ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص ٣٧٧.
٢- اسماعيل، عز الدين، نوابغ العرب، أبو الطيب المتنبي، مرجع سابق، ص ١٠٤.

أما المرحلة الرابعة والأخيرة فهذه المرحلة تمتد منذ وصوله من بغداد إلى ذهابه لبلاد فارس وقد سميت قصائده في هذه المرحلة بالعميديات، وقد قال هذه القصائد في العراق في مدح أبي الفضل ابن العميد، ثم العضديات وهي القصائد التي قالها في مدح عضد الدولة بن بويه، وقد اتصف شعر المتنبي في هذه الفترة بأنه كان متنوعاً بين مديح وهجاء وحكمة ورثاء، حسب ما تقتضيه الظروف، وبالرغم من أنه لم يكن يرغب في شعر الهجاء إلا أنه كان سبباً في قتله، حيث قتل من خلال قصيدته التي هجا بها حنبة ابن يزيد العيني^(١) حيث قال:

ما أنصف القوم ضبة وأمه الطرطبة
وإنما قلت ما قلت رحمة لا محبة^(٢)

١- شلبي، محمد اسماعيل، مقدمة القصيدة عند أبي تمام والمنتبي، مرجع سابق، ص ١٠.
٢- ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص ٣٣٣.

المبحث الرابع: المتنبي أغراضه الشعرية

أما شعره: فمجالُ سباقٍ تتباهى فيه الإفهام، وميدانُ حربٍ عوان بين أنصاره وخصومه، ولم يُعرف في تاريخ العربية شاعرٌ قام بشأنه النزاع بمثل هذه الشدة: قومٌ ينفونه من ديوان الشعراء، وقومٌ يزيدون في التعصب له، حتى جعلوه المفرد العلم، فكثر التأليف عنه، وُعِدَّت شروحه بالعشرات^(١).

إذ قسمنا شعره، بحسب مناطق القوى المدركة في الإنسان، إلى شعر وجداني توحيه النفس المتأثرة، وإلى شعر مادي تمليه الحواس، وإلى شعر حكيم يكون نتيجة التفكير العقلي، إذا سرنا في التقسيم على هذه القاعدة، وصلنا إلى الأحكام الآتية: مظان وجود الشعر الوجداني في دواوين الشعراء بابا الغزل والرثاء، ولكن هذين البابين من شعر أبي الطيب لا يصحو فيهما وجدانه، فترى عزلته خطرات مفكرين: يشرح العشق علمياً، ويرسم تعاريفه، ويضع قواعده، ويصف العشاق، ويصور أحوالهم، ويصف جمال المرأة بنوعٍ خاص. مواقف الغزلية مع النساء في الغالب مواقفُ فراقٍ وتوديع، لا تصادف إلا ساعات الرحيل الذي لا يكون إلا على العيس والهواج، كأنهنَّ ينوين سفرًا بعيداً إلى ما وراء البيد والقفار، ثم إن هواه مع البدويات

١- غانم، رولا خالد، الآخر في شعر المتنبي، مرجع سابق، ص ٤.

العربيات، يفضلهن على نساء الحضر. وفصل الغزل وحده يُستدل منه على أن أبا الطيب بقي على تعصبه للعربية، على الرغم من اتصاله بالأعاجم^(١).

ويلاحظ على غزله في مجموعته روح الحزن والكآبة، وذكرى السقم والنحول. وهو في ذلك أشبه بمن ذهب الهيام بلبهم، كالمجنون العامري وأمثاله، ومن جهة أخرى يُرى في غزله شيء من الجفاء والعنف مع معشوقاته، والتلميح بأنه هو الذي تسعى إليه النساء، كما يفعل عمر بن أبي ربيعة^(٢).

وكذلك رثاؤه لا يعدّ من الشعر الوجداني إلا القليل منه، فهو يحوي: أولاً: شعراً وصفيّاً يصور فيه الشاعر مكانة المرثي، وأبّهة ملكه، وهيبة جنازته، مما يدعو إلى الإجلال والإعظام، ولكنه لا يثير الحزن في النفس، ولا الدمع في العين، وثانياً: شعراً حكيماً ملؤه الخطرات السديدة، والنظرات الصادقة، والأفكار المتفوقة عن الحياة وما فيها مما يدخل في "فلسفة الموت". وثالثاً: شعراً وجدانياً في غير الحزن، يكثر فيه الوعيد والتهديد والغيظ عن الأيام، والاعتراض على الأقدار. ورابعاً: شعراً وجدانياً في الحزن حقيقة تنفعل فيه نفسه انفعالاً صادقاً، ويظهر من خلال قوله أنه صادق في ودّه، قد نزلت به نازلة حقاً، وأنه غير مأجور على شعره، ولا مخادع في بكائه^(٣).

١- المقدسي، أنيس، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، مرجع سابق، ص ٣٦٠

٢- شلبي، محمد اسماعيل، مقدمة القصيدة عند أبي تمام والمتنبي، مرجع سابق، ص ٨.

٣- اسماعيل، عز الدين، نوابغ الغرب أبو الطيب المتنبي، مرجع سابق، ص ٤٥

هذا، وأبو الطيب راقي الخيال، دقيق التصوير، بعيد المرمى فيه، وهو قليل الفكاهة، يخرج فيها إلى الهجاء، ولو كان سار على عكس ذلك فاتّبع التهكم الظريف في الهجاء لكان خيراً له وأسلم^(١).

ويستنتج من مجموع باب الشعر الوجداني أن أبا الطيب كان مصوراً مفكراً، قد رزق استعداداً شعرياً، فكان التصوير والتفكير يغالبان فيه الوجدان، حتى رأى كثيرٌ من النفاذ أن شعره قاصرٌ على الوصف والحكمة^(٢).

أما شعره الوصفي: فأهم ما فيه وصف الطبيعة والحروب، ويشمل وصف الطبيعة: القفار، والصحارى، وما في نواحيها من بالي الطلول والرسوم، مما يدخل فيما يسميه العصريون: "الطبيعة الميتة، ثم يُرى له صوف الطبيعة البهيجة كبحيرة طبرية، وشعب بوان (في ايران)، ثم وصف الحيوان؛ كالظباء وكلاب الصيد والأسد^(٣).

ويتناول وصف الحروب وقائع القتال والكر والفر، وصفة الجيوش، وأدوات الضرب من رماح وسيوف وغيرها، ويدخل في ذلك وصف الجيوش والخيول^(٤).

١- بك، محمد كمال، أبو الطيب المتنبي حياته، خلقه، وشعره، مرجع سابق، ص ٢٢.

٢- عزام، عبد الوهاب، ذكر أبي الطيب بعد ألف عام، مرجع سابق، ص ٢٩.

٣- الجندي، أنعام، الرائد في الأدب العربي، مرجع سابق، ص ١٥٦.

٤- زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، مرجع سابق، ص ٥٥.

ومن مزايا الوصف في شعر المتنبي حب الألوان والأضواء، والتفنن في تأليفها ومقابلتها. وهو يعطي الجماد والحيوان نوعاً من العقل والتفكير، ويجيد في تصوير الحركات، وغالب حيواناته تراها مصورةً في حالة الحركة، وقد وصف بحيرة طبرية وهي مزبدة مضطربة، مما يستفاد منه أن الشاعر يحب المظاهر الحية، لأن الحركة مظهر الحياة.

ففي هذا الشعر الوصفي لا يحتاج الشاعر لإجهاد وجدانه، ولا تفكيره العقلي، ما دام قد رُزق الاستعداد لإدراك المبصرات، وأداء ما تحصل منها في نفسه، فهو مصور بطبعه، يشتغل بالتصوير في قالب شعري، كما أن هناك شعراء يشتغلون بالشعر في قالب تصويري^(١).

أما شعره الحكمة، فليس له مكانٌ خاص في "ديوانه" بل إنه يتسرّب فيه من أوّله إلى آخره. ولذلك يجب على الناقد أن يؤلف من هذه المتفرقات المشتتة مجموعةً مرتبطة الأجزاء، جديرةً بأن تمنح الشاعر لقب الحكيم^(٢).

أما حكمته فمجالها، الأخلاق وتصوير حالات النفس. ومنزعها سام: (نسبه إلى السلسلة السامية) (سام بن نوح) لكثرة الأمثال والعبر. وليس فيها من الرومية أو

١- الحاتمي، محمد بن الحسن، الرسالة الموضحة في ذكر السرقات أبي الطيب المتنبي وسافط شعره، تحقيق محمد يوسف النجم، مرجع سابق، ص ٢٢.
٢- ريجيس بلاشير، أبو الطيب المتنبي: دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، مرجع سابق، ص ٥٥.

الهندية أو الفارسية إلا بعض أسماء وإشارات مقتضبة، وتتلخص آراؤه جملة في الشكوى من الناس والأيام والأقدار، وخطته في الحياة خطة عنف وشدة، لسوء ظنه بالناس، واتهامهم بالغر والخبث. وقد اتجهت عواطفه لحب نفسه، وتحصيل الخير لها، منصرفاً عن حب غيره، وفكرة الوطن عنده معدومة. وهو شاعر الجمهور وحكيمه، وآراؤه في جملتها هي آراء الجمهور في كافة الأقطار والعصور.

وكذلك كان يجمع بين الفنون المختلفة والمعاني المتنافرة، وباب (الافتنان)، في البديع هو أقرب ما يحيط بهذا الضرب من التأليف، وقد أعرض عن التورية والجناس التام، إلا أنّ له قليلاً من الجناس المقلوب أو الناقص. وما إلى الاشتقاق، والتجنيس، فأجاد في ذكر الشيء وما يناسبه، ومراعاة النظير^(١).

ترك المتنبي ديوان شعر كان هو أول من قام بجمعه وترتيبه حسب إقامته كالعراقيات والشاميات والكافوريات، وأخيراً الفارسيات، وقرأه على الناس وفسّر غامضه، ومن أبرز الذين توفروا على شرحه وتبيان خصائصه وجلاء معانيه كل من ابن جني (ت ١٠٠٢م) وأبي البقاء العكبري (ت ١٢٢٩م)^(٢).

ويتضمن ديوان المتنبي حوالي (٣٢٦) قصيدة ومقطوعة تتوزع على كافة أغراض الشعر العربي كالمديح، والغزل والطلب، وقد جاء معظمها في مستهل قصائد

١- البرقوقى، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص ٦٧.

٢- الطويلي، أحمد، أبو الطيب المتنبي، تونس، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، للنشر والتوزيع، ص ٢٧.

المدح، ثم الفخر والحماسة، ثم شعر الرثاء، ثم يأتي الهجاء الذي لجأ له الشاعر مضطراً وكان من الذين هجاهم سوار الرملي وكافور الأخشيدي، وغيرهم، وقد بث الوصف والشكوى والحكمة والعتاب والقدييات في ثنايا أغراضه الشعرية، كما جاءت الخمرة عرضاً واضطراباً وذلك لأن الشاعر كان يكره شاربِي الخمر وكان له من الخلق والسمو من عشق المجد والبطولة والفروسية غناء أيما غناء^(١).

١- شامي، يحيى، شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص ٨٧.

المبحث الخامس: مكانته الشعرية

أشاد العديد من العلماء بشعر أبي الطيب المتنبي وفصاحته، حيث قال فيه أبو القاسم وهو صاحب كتاب "الواضح في مشكلات شعر المتنبي" وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه ويتعجب من حفظه وجزارة علمه".

وقد وصف المتنبي بأنه كان من الأذكىء، لما كان شجاعاً، وكان لديه اطلاع واسع على أخلاق الملوك، وقد كان بارعاً في مدحهم، وعرف عنه أنه بخيل وكان يحب المال كثيراً، وقد كانت تلك صفات ذميمة لشاعر يمدح الناس بالكرم والجود^(١).

والجود^(١).

قال ابن فورجه: "كان المتنبي داهية مر النفس شجاعاً حافظاً للأدب، عارفاً بأخلاق الملوك، ولم يكن فيه ما يشينه إلا بخله وشرهه على المال"^(٢).

كما صور شعر المتنبي عدة جوانب من حياته وصفاته، وقد ذكر منها العديد كصفقة الكبرياء والطموح وحب المغامرة، وقد كان عفيف النفس، رصيناً لا يجب أن يلهو مع الآخرين أو يمازحهم، كما كان يكره الخمر لأنها كانت تغيب عقل الإنسان كما كان يرى وفي ذلك يقول المتنبي:

١- شلبي، محمد اسماعيل، مقدمة القصيدة عند أبي تمام والمتنبي، مرجع سابق، ص ٧.

٢- اسماعيل، عز الدين، نوابغ العرب أبو الطيب المتنبي، مرجع سابق، ص ١٠١.

وأَنْفَسَ مَا لِلْفَتَى لِبِهِ وَذُو اللَّبِّ يَكْرَهُ إِفْئَاقَهُ^(١).

وروي أنه ترك الصلاة والصوم وقراءة القرآن في بداية حياته فقد ذكر البديعي أنه حدث: "أن المتنبّي كان يصلي بموضوع بمعرة النعمان يقال له كنيسته الأعراب وأنه صلى ركعتين وذلك في وقت العصر ويجوز أنه كان على سفر وأن القصر له جائز"^(٢).

كما كان المتنبّي يكره العديد من الصفات من خداع وتمويه ومكر وفي ذلك يقول المتنبّي:

ومن هوى كل من ليست ممهة تركت لون مشيبي غير مخضوب^(٣)

لقد عرف الشاعر الشجاعة والإقدام وقد ظهر ذلك من خلال أشعاره العديدة إذ يقول:

الخيّل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم^(٤)

(١) أبو الطيب المتنبّي، الديوان، بيروت، دار الجليل، دبت، ص ١٥٩.
(٢) عزام، عيد الوهاب، ذكرى أبي الطيب المتنبّي، مرجع سابق، ص ٣٠.
(٣) ديوانه، ص ٤٤٩.
(٤) ديوانه، ص ٤٨٣.

وأبو الطيب المتبّي، أعظم شعراء العرب، وأكثرهم تمكناً باللغة العربية وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها، صاحب كبرياء وشجاع طموح محب للمغامرات. في شعره اعتزاز بالعروبة، وتشاؤم وافتخار بنفسه، أفضل شعره في الحكمة وفلسفة الحياة ووصف المعارك، إذ جاء بصياغة قوية محكمة. إنه شاعر مبدع غزير الإنتاج يعد بحق مفخرة للأدب العربي، فهو صاحب الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. وجد الطريق أمامه أثناء تنقله مهياً لموهبته الشعرية الفائقة لدى الأمراء والحكام، إذ تدور معظم قصائده حول مدحهم. لكن شعره لا يقوم على التكلف والصنعة، لتفجر أحاسيسه وامتلاكه ناصية اللغة والبيان، مما أضفى عليه لونا من الجمال والعدوية. ترك تراثاً عظيماً من الشعر القوي الواضح، يضم ٣٢٦ قصيدة، تمثل عنواناً لسيرة حياته، صور فيها الحياة في القرن الرابع الهجري أوضح تصوير، ويستدل منها كيف جرت الحكمة على لسانه، لاسيما في قصائده الأخيرة التي بدأ فيها وكأنه يودعه ويودع الدنيا عندما قال: أتعب الهوى بدني. لنتعرف على هذا الشاعر العظيم ونقترب أكثر من سيرة حياته.

وترى الباحثة أن شخصيته تشكلت في أربعة مراحل هي مرحلة الفتوة أي مرحلة الطفولة والمرحلة التي عاشها في بلاط سيف الدولة الحمداني ثم تجربته الشعرية التي عاشها في مصر ثم تجربته الشعرية التي عاشها في فارس والعراق

الفصل الثاني

التناص أنماطه وأنواعه وأشكاله.

المبحث الأول: مفهوم التناص اللغوي.

المبحث الثاني: مفهوم التناص الاصطلاحي.

المبحث الثالث: التناص أشكاله وأنواعه.

المبحث الرابع: التناص بين النقادين القديم والحديث.

التناص أنماطه وأنواعه وأشكاله

إن هدف التناص يتمثل في كيفية الكتابة لقراءة النص الإبداعي قراءة أعمق وأجمل، والتناص نوعان: تناص مباشر، وهو تناص يحوي توظيف النص المرجعي ذاته دون موارد ثم توظيف النص المرجعي متضاداً، ثم توظيف النص المرجعي وفق تداخل نصوص عدة أي بنى مرجعية متعددة، وتناص غير مباشرة، وهو التناص الذي لا يبيح النص بالمرجع بل إنه يومئ إليه من خلال دلالات خاصة في النص الحاضر، أو من خلال حركة القصيدة أو أي ملمح يومئ إليه^(١).

المبحث الأول: مفهوم التناص اللغوي

حفل التناص باهتمام النقاد العرب، وقد تناولوا مفاهيمه وتعريفاته فقد قرئ ضمن تقسيمات خاصة بكل شاعر أو أديب، فهناك التناص الديني مثلاً وهناك الأسطوري وكذلك التاريخي، وكما بيّنا فإن قراءة التناص تكون من خلال التناص المباشر والتناص غير المباشر، والتناص غير المباشر أكثر فنية من التناص المباشر لما له من ميزات من مثل الغموض الذي يثري النص الإبداعي ويحفز استمرايته وكذلك احتمالية اللغة لدلالات متعددة تحقق للقارئ أكثر من قراءة لتجعل النص منفتحاً غير منغلق، مما يحقق فنية عالية للنص الحاضر ويجعل له ديمومة.

١- عبد الباسط مرشدة، ٢٠٠٠، التناص في الشعر العربي الحديث، دراسة نظرية وتطبيقية، بدر شاكر السياب وأمل ونقل ومحمود درويش نموذجاً، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص ١٠٤.

وقد يتبادر لذهن القارئ أن أصل التناص هو كلمة (نص)، وذهبت دراسات أخرى إلى أن التناص هو النص أو عملية النسيج (دراسات المعنى المعجمي اللاتيني)^(١).

وتقوم فكرة التناص على إقامة علاقة ما بين النص الخاضع للتحليل وبقية العناصر التي تشكل سياقه وخاصة السياق التاريخي والأدبي، إذ تتداخل النصوص وتتشكل مجموعة من الاستدعاءات التراثية، وتتصرف النص الحاضر^(٢).

ويعد مفهوم التناص مصطلحاً جديداً وبالعودة إلى معاجم اللغة العربية، نجد أن مصطلح (التناص)، كمادة لغوية ذكر في مادة: (نصص): تناص القوم أي اجتمعوا، أو دفعك الشيء، ونص الحديث ينصه نصاً^(٣).

ولما كان النص الأدبي "فضاء" متعدد الأبعاد، مصنوعاً من كتابات مضاعفة، نتيجة لتقافات متعددة تدخل كلها بعضها مع بعض في حوار ومحاكاة^(٤). فليس ثمة قواعد للنص، فهو منسوج من الاستشهادات ومن المراجع والأصداء، بمعنى "أن النص عبارة عن مجموعة من الانزياحات والملفوظات التي تتكرر برتابة

١- يسري حسين، ٢٠١١، التناص في شعر حميد سعيد، دار دجلة، عمان، ص ٥.
٢- أمل أحمد أحمد، ٢٠٠٥، (التناص في رواية إلياس خوري باب الشمس) رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، ص ٤.
٣- ابن منظور، لسان العرب، (دار المعارف، دبت) مادة (نصص) ٤٤٤١/٥.
٤- رولان بارت، هسهسة اللغة، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ١٩٩٩، ص ٨٣.

ومجموعة من الاستشهادات الواضحة، والسراقات الأدبية التي تذوب في النص الجديد"^(١).

فاللغة هي المحور الأساسي في تشكيل بناء النص، زماناً ومكاناً، فلم تقتصر على قوم دون قوم، أو زمن دون زمن، يقول ابن قتيبة: "لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة، على زمن دون زمن، ولا خص به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره، وكل شرف خارجياً"^(٢).

فالأديب لا يمكن أن ينفصل في تكوينه المعرفي عن ماضيه، فنصوصه الأدبية عبارة عن تراكمات ثقافية معرفية تنمو في محيط التلاحم المعرفي المتشابك، مما يجعل النص الأدبي بناءً متعدد القيم والأصوات، تتوارى خلف كل نص ذوات أخرى غير ذات المبدع من دون حدود أو فواصل. ومن ثم فالنص الجديد هو إعادة لنصوص سابقة لا تعرف إلا بالخبرة والتدقيق، فالعودة إلى الماضي أو استحضار من أكثر الأمور فعالية في عملية الإبداع "فقد يحدث تماس أو تأثير يؤدي بالضرورة إلى تشكيلات تداخلية، قد تميل إلى التماثل، وقد تتجاوز إلى التخالف، وقد تتصرف إلى التناقض، وفي كل ذلك يكون للنص الجديد موقف محدد إزاء هذا التماس، ومن

١- انظر: علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال، المغرب، ١٩٩١، ص ٣٥-٣٧.

٢- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط ٣، ١٩٧٧، ص ٦٩.

ثم تتجلى فيه إفرزات نفسية مميزة تتراوح بين الإعجاب الشديد والرفض الكامل،
وبينهما درجات من الرضى أحياناً والسخرية أحياناً أخرى، إلى غير ذلك من ظواهر
المعنى الشعري التي تدخل دائرة التناص على نحو من الأنحاء^(١).

١- قضايا الحدائثة عند عبد القادر الجرجاني، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٥،
ص ١٤٢.

المبحث الثاني: مفهوم التناص الاصطلاحي

تعد (جوليا كريستيفا) بإجماع النقاد الغربيين بأنها أول ناقد أسس لمفهوم التناص نظرياً وعملياً، وهي أول من طرح "هذا المصطلح تأسيساً على مفهوم ميخائيل باختين عن (الحوارية)^(١)، ويشير هذا المفهوم إلى تداخل النصوص الشعرية بحيث: يحيل المدلول الشعري إلى مدلولات خطابية مغايرة، بشكل يمكن معه قراءة خطابات عديدة داخل القول الشعري"^(٢). وقد ظهر هذا الفهم القائم على مفهوم باختين عن (الحوارية) في مجموعة أبحاث نشرتها في مجلتي (تيل كيل) و(كريتيك) بين عامي ١٩٦٦ - ١٩٦٧، ثم أعيد نشرها في كتابيها (السيمياء) و(نص الرواية) وفي مقدمة كتاب "ديستوفسكي" لباختين^(٣). "حيث إنها برهنت على فرضية تداخل النصوص وانفتاحها على فضاء الكتابة، نظراً للتفاعل المعرفي بينهما.

ولقد تمكنت جوليا كريستيفا من توسيع مفهوم الحوارية "ليشمل جميع أنواع التفاعل بين النصوص كلها وعرّفت هذا المفهوم الجديد (التناص) بأنه: ترحال

١- انظر: ميخائيل باختين المبدأ الحواري، تزفتيان تودروف، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٦، ص١٢٦.

٢- علم النص، جوليا كريستيفا، ص٧٨.

٣- علم النص، جوليا كريستيفا، ص٢١.

للنصوص وتداخل نصّي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتفاى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى... " (١).

وتشير كريستيفا إلى مفهوم التناص وعلاقاته في غير موضع من كتابها، فهو توصيف لولادة النص عندها إذ تقول: "وإذا كان أسلوب الحوار بين النصوص هذا لدى (لوتريامون) يندمج كل الاندماج بالنص الشعري إلى درجة يغدو معها المجال الضروري لولادة معنى النص، فإنه ظاهرة معتادة على طول التاريخ الأدبي، أما بالنسبة للنصوص الشعرية الحداثيّة، فإنه قانون جوهري، إذ هي نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص، وفي نفس الآن عبر هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصياً... علماً بأن النص الشعري ينتج داخل الحركة المعقدة لإثبات ونفي متزامنين لنص آخر". فالتناص عند كريستيفا هو تلاقي نصوص، وكل نص يبنّي من فسيفساء من الاستشهادات، وكل نص هو امتصاص وتحويل لنص آخر.

لقد عالجت كريستيفا تقنية التناص التي تقوم على خلق نص يقوم على مدلولات خطابية متباينة التاريخ، لا يمكن قراءة نص فيها معزولاً عن غيره من النصوص حيث "يحيل المدلول الشعري إلى مدلولات خطابية مغايرة، بشكل يمكن معه قراءة خطابات عديدة داخل القول الشعري هذا يمكن خلق فضاء نصّي متعدد

١- تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢، ص١١.

داخل المدلول الشعري... حيث يسمى النص هنا متداخلاً نصياً... ومن هذا المنظور يكون من الواضح اعتبار المدلول الشعري نابعاً من سنن محدد. إنه مجال لتقاطع عدّة شفرات (على الأقل اثنتين) تجد نفسها في علاقة متبادلة".

أما بارت فله رؤية خاصة في التناص، إذ يعرف النص بأنه: نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء من اللغات الثقافية السابقة والمعاصرة التي تخترقه بكامله... وكل نص هو تناص مع نص آخر ينتمي إلى التناص....^(١).

فالتناص عند (بارت) ينطوي ضمن ما سمّاه جيرار جنيت "النص الجامع" فهو "حقل عام يضم صيغاً مغلقة قلماً نهتدي إلى منبعها، كما يضم شواهد يوردها الكاتب عن غير وعي أو تلقائياً دون أن يضعها بين مزدوجتين... ومفهوم النص الجامع هو ما يجعل نظرية الشعر ذات حجم اجتماعي، إذ إن الكلام كُله قديمة ومعاصره مصبّه الشعر، لا على وجه التسلسل البين أو التقليد المقصود على وجه البعثرة. وهي صورة تكتمل للنص أن ينتزل منزلة إعادة الإنتاج، لا بل منزلة الإنتاجية^(٢). فالنص عند بارت "جيولوجيا كتابات، يتألف من كتابات متعددة، تتحدر

١- نظرية النص، رولان بارت، ترجمة محمد الشملي وآخرون، حوليات الجامعة التونسية، ٢٧٤، ١٩٨٨، ص ٨١.

٢- مدخل لجامع النص، جيرار جنيت، ترجمة عبد الرحمن أيوب، دار تيقال- الدار البيضاء، ١٩٨٦، ط ٣، ص ٩٠-٩١.

من ثقافات عديدة، تدخل في حوار مع بعضها وتتحاكى وتتعارض^(١). إلا أن هناك نقطة يجتمع عندها هذا التعدد "وهي ولادة القارئ الذي هو رهين بالمؤلف..."^(٢).

إن بارت في النص السابق يشير إلى كيفية الفعل التناصي، فهو يجعله متداخلاً مُبعثراً هادماً من ناحية، ومن ناحية أخرى ينظر إليه وفقاً لنظرية التلقي، "فالذي يركز عليه (بارت) هو أنه إلى جانب التناص الذي يستخدمه ويستحضره المؤلف، هناك تناص آخر يستحضره القارئ، وهنا تتعد المسألة، وتتشعب وتزداد غموضاً، فالكاتب يستحضر نصوصاً من مخزونه الثقافي أو مقروءة المعرفي ويضمنها نصّه الجديد، ولكن في الوقت ذات يستحضر القارئ في أثناء قراءته للنص نصوصاً أخرى من مخزونه الثقافي الذي قد يختلف عموماً لدى الكاتب في أثناء كتابته..."^(٣).

فالنص الجديد كما يرى (بارت) "يقوم بهضم وتمثّل وتحويل النصوص التي سبقته، لذا فهو لا يستطيع الخلاص من الوقوع في شرك جدلية القراءة - الكتابة، التي تعتبر مرجعية الإنتاج النصّي، وتحدد علاقة النص الجديد مع النصوص

١- في أصول الخطاب النقدي، ترجمة أحمد المديني، ص ١٠٥.
٢- درس السيميولوجيا، رولان بارت، ترجمة بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٦، ط٥، ص ٨٥.
٣- التناص نظرياً وتطبيقياً، مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية للتناص في (رواية "رؤيا" لهاشم غرابية، أحمد الزعبي، مكتبة الكتاني، إربد (الأردن)، ١٩٩٣، ص ١٩.

الأخرى التي تفاعل معها، ولا يمكننا الكشف عن طبيعة هذه العلاقة إلا عن طريق
التناص^(١).

وقد ظهر لمصطلح التناص عدة مفاهيم منها:

١- التفاعل الضمني: ويكون بين بنيتين بنية النص والبنيات النصية، ولا يكون مباشرة
دائماً، فقد يكون ضمناً.

٢- البنيات النصية: حيث ينتج كل كاتب نصوصه ضمن بنية نصية معاصرة له أو
سابقة عليه.

٣- التعلق النصي: الذي يرى أن النص اللاحق يكتب النص السابق بطريقة جديدة.

٤- المصاحبات الأدبية: وهي الاستشهادات الأدبية التي تدخل في بنية نصية معينة.

٥- التناصية: وهي مجموعة من العلاقات التي نراها ونتجاوز قضية التأثير إلى أمور
تتعلق بالبنية والفضاء الإبداعي^(٢).

أشار (محمد بينس) إلى أن الشعر القديم قد أظهرت علاقات النص بغيره من

النصوص منذ الجاهلية وضرب مثلاً للمقدمة الطليبية التي تعكس شكلاً لسلطة

١- التناص: السرقة الأدبية والتأثر (بارت كريستيفا، باختين... والنقاد العرب الحديثون) عبد الستار الأسدي،
مجلة كتابات معاصرة، العدد ٤٤، ١٩٩٩، ص ٧١.

٢- محمود عزام، النص الغائب، ص ٣٠.

النص وقراءة أولية لعلاقة النصوص ببعضها وللتداخل النصي بينها، فنكون المقدمة الطللية تقتضي ذات التقليد الشعري من الوقوف والبكاء على الأطفال، فهذا إنما يفتح أفقاً واسعاً لدخول القصائد في فضاء نصي متشابك^(١).

في الاصطلاح: أن كل نص يتشكل من نصوص سابقة أو معاصرة، أو هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حديث بكيفيات مختلفة^(٢).

١- محمد عزام، النص الغالب، (منشورات اتحاد الكتب العرب، دمشق، ٢٠٠١)، ص ٤٢.
٢- انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة نصص، معجم المصطلحات العربية، مجدي وهبة.

المبحث الثالث: التناص أشكاله وأنواعه

ظهر مصطلح التناص متأخراً في البلدان العربية، حيث بدأ الاهتمام به في أواخر السبعينات من القرن العشرين مع نقاد المغاربيين واللبنانيين مثل: سامي سويدان وصبري حافظ^(١).

وقد أشار إلى ذلك ديفاتير بقوله: "إن التناص هو مجموعة النصوص التي نجد بينها وبين النص الذي نحن بصدد قراءته قرابة، وهو مجموع النصوص التي نستحضرها في ذاكرتنا عند قراءة مقطع معين، أما تداخل النصوص فهو ظاهرة توجه النص ويمكن أن تحدد تأويله وهو قراءة عمودية متناقضة للقراءة الخطية"^(٢).

وللتناص نوعان:

١- التناص المباشر: ويسمى بتناص التجلي، وهو حوار تجلي في توأله النص وتناسله وتناقش فيه الكلمات والمحاور والجمل فهو إعادة إنتاج سابق في حدود من الحرية.

٢- التناص غير المباشر: وهو التناص اللاشعوري أو تناص الخفاء ويتطلب عند الباحث ثقافة واسعة في معرفة التناص، ويندرج تحته التلميح والرمز والتلويح والإيماء والإشارة.

١- جميل حمداوي، آليات التناص، مجلة أفق الثقافية، الثلاثاء، ٢٠٠٦/٧/١١.
٢- حسن محمد حمادة، تداخل النصوص في الرواية العربية، (القاهرة، الهيئة المصرية، العامة للكتاب، ١٩٩٧)، ص ١٧.

ومن هنا فالتناص عند بارت ينقسم إلى قسمين "الأول يعتمد على مخزون المؤلف الثقافي الذي ينتج النص، والثاني يعتمد على مخزون القارئ الذي قد يختلف في مخزونه الثقافي عن المؤلف فينتج النص بشكل آخر، وهكذا يصبح النص قراءات مختلفة وكثيرة ينتجها القارئ وفق مخزونه الثقافي، فيصبح النص غير متناهي الأبعاد، إذ لكل قارئ سلطة يودعه ما يشاء من محاور تناصية"^(١). وإذا ما انتقلت الدراسة إلى لوران جيني، سنجد أنه يعرف التناص بأنه "عمل تحويل وتمثيل عدة نصوص يقوم بها نصٌّ مركزي يحتفظ بزيادة المعنى"^(٢).

ويعرف (روبرت شولز) التناص بقوله: النصوص المتداخلة اصطلاح أخذ به السيميولوجيون مثل (بارت، وكريستيفا...) والمبدأ العام فيه هو أن النصوص تشير إلى نصوص أخرى مثلما الإشارات (Signs) تشير إلى إشارات أخرى، وليس إلى الأشياء المعنية مباشرة فالنص المتداخل هو نص يتسرّب إلى داخل نص آخر ليجمّد المدلولات، سواء وعى الكاتب أم لم يع"^(٣).

١- التناص في الشعر العربي الحديث (دراسة نظرية تطبيقية)، عبد الباسط مرشدة، (رسالة دكتوراه)، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠٠، ص ١٦.

٢- مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد، مارك انجينو، ترجمة أحمد المدني، ص ١٠٩.

٣- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشرحية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، عبدالله الغدامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٨٥، ص ٣٢٠ وما بعدها.

ويعرّف (مارك انجينو) التناص بقوله: "كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى وبذا يصبح كل نص في نص تناصاً..."^(١). وبذا يصبح النص الأدبي ليس سوى مجموعة من النصوص.

أما الناقد الفرنسي (جيرار جنيت)، فقد تناول التناص في كتابيه: (النظريات: من التناص إلى الأطراس)، و(مدخل لجامع النص)، وأطلق عليه بـ(التعالي النصي للنص)، الذي هو عنده "كل ما يجعل النص في علاقة ظاهرة أو ضمنية مع نصوص أخرى، فهو يتجاوز معمار النص، وبعض الأنواع الأخرى ذات العلاقة الخاصة بالنصية المتعالية"^(٢).

إن ما يقدمه جيرار جنيت "هو استراتيجية شاملة لدراسة النصية بوصفها عملية كتابة وتصييص، تحيل إلى أشياء متعددة في محتوياتها كافة، وليس إلى مجرد حضور نصوص في نص معين"^(٣).

(فجيرار جنيت) يقعد لأنماط التناص، "حيث يفصل في كيفية توظيف النصوص ابتداءً من الاقتباس بين مزدوجتين ثم السرقة... إلى أن يصل إلى التلميح

١- في أصول الخطاب النقدي، ترجمة أحمد المدني، ص ١٠٢.
٢- من التناص إلى الأطراس، جيرار جنيت، ترجمة مختار حسني، مجلة علامات، مج ٥، ص ٥، ١٩٩٧، ١٧٩.
٣- اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، سامي عابنه (رسالة دكتوراه)، جامعة اليرموك، إربد، ٢٠٠٢، ص ٢١٢.

في علاقة بين النصوص، علاقة على نحو ما... مشيراً إلى المحاكاة الساخرة في موقع آخر...^(١).

من خلال العرض السابق لمفهوم التناص عند الغربيين يتضح للدارس أنهم ينهلون من معين واحد وهو وجود نص في آخر، فلا اختلاف بينهم إلا في بعض التفاصيل، أما المفهوم وتعريفه يبقى متقارباً لديهم. فتكاد تجمع الدراسات الغربية على أن التناص هو قراءة لنصوص سابقة وتأويل لهذه النصوص وإعادة كتابتها ومحاورتها بطرائق عدة على أن يتضمن النص الجديد زيادة في المعنى على كل النصوص السابقة التي يتكون منها. ومثل هذا الفهم قد عبّر عنه الجرجاني بقوله: (ولا يغرنك قول الناس: قد أتى بالمعنى بعينه وأخذ معنى كلامه فأداه على وجهه...والمراد أنه أدى الغرض، أما أن يؤدي المعنى بعينه... ففي غاية الإحالة)^(٢). وهذا ما أكده (جيرار جنيت) بقوله: (إن التقليد التام أمرٌ مستحيل، لأننا مهما بالغنا في تقليد نص ما، فلا يمكن أن نعيد إنتاج ذلك النص كما أنتجه صاحبه لأول مرة)^(٣).

١- من التناص إلى الأطراس، جيرار جنيت، ص ٩١.
٢- انظر: دلائل الإعجاز، عبد القادر الجرجاني، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١، ص ٢٠١، ص ٢٧٤-٢٧٥.
٣- مشكلة التناص في النقد العربي المعاصر، محمد أدبوان، مجلة الأقاليم، العدد ٤، ٥، ٦، ١٩٩٥، ص ٤٧.

المبحث الرابع: التناص بين النقدين القديم والحديث

عانى مفهوم التناص في النقد العربي الحديث من تعددية في الصياغة والتشكيل حيث ظهر بصياغات وترجمات متعددة من أهمها: التناص أو التناصية، النصومية تداخل النصوص أو النصوص المتداخلة، النص الغائب، النصوص المهاجرة، تضافر النصوص المحالة والمزاحة، تفاعل النصوص... وغيرها.

وهذا ما أكدته ربا الرباعي، حيث ترى ضرورة استبدال مصطلح التضمين بمصطلحي السرقات والتناص، إذ إن هذه المصطلحات تستوي من حيث بعدها الفكري النقدي لديها، تقول: "لا بد إذن من التفتيش عن مصطلح بديل للتناص بعيداً عن مصطلح السرقات الذي رفضناه واستعضنا عنه بمصطلح التضمين... ولعل التضمين بمعناه الواسع وبضمه ألواناً وأشكالاً بلاغية كالإقتباس، والاهتمام، والاصطراف وغيرها، هو المصطلح البلاغي الأنسب ليكون بديلاً عن التناص"^(١).

أما القسم الثاني من النقاد، فقد انصب اهتمامه على دراسات الغربيين، فجاء تنظيره لمفهوم التناص، موافقاً لتنظيرات الغربيين.

أما القسم الثالث من النقاد، فقد اطلع على جهود الغربيين، وأفاد منها، وأسس أبعاداً نظرية أخرى لمفهوم التناص.

١- التضمين في التراث النقدي والبلاغي، ربا الرباعي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد- الأردن، ١٩٩٧، ص ١٩٤.

ولعل كتاب (الخطية والتكفير) للغدامي من أسبق الدراسات العربية التي تعرضت لمفهوم التناص، فقد تحدث عن هذا المفهوم التناص عند الغربيين، مما شكل مهاداً لرأيه، "والتناص عند الغدامي مصطلح (تشريحي، تفكيكي)، فرؤية الغدامي للتناص تقوم على فهم دقيق لوظيفته الإبداعية، التي تشكل احتمالية الدلالة من خلال إشارات النصوص المتداخلة من ناحية والمنفتحة على التاريخ والمستقبل معاً من ناحية أخرى، فهو يستخدم مصطلح "تداخل النصوص" للدلالة على مصطلح التناص نفسه، والنص عند الغدامي يُصنع من نصوص متضاعفة التعاقب على الذهن، مُسحبة من ثقافات متعددة ومتداخلة في علاقة متشابكة، من المحاور والتعارض والتنافس"^(١). فهو لم يضع تعريفاً محدداً للتناص: إذ ينقل تعريفات من النقاد الغربيين (كريستيفا، بارت، شولز.... وغيرهم)^(٢). ويركز على المبدع والقارئ "فما دامت الكلمة تقبل الانعتاق، فإن المبدع هو المعتق الأول ويليه القارئ في مواصلة المهمة"^(٣).

أما عبد الملك مرتاض فيعرّف التناص (التناصية) بقوله: "التناصية هي شبكة العلاقات النصية التي تتم بوسائل قراءة نصوص وسماعها أو ربما حتى كتابتها، إذ كثيراً ما تكون تناصيته داخلية بحيث ينقل مُدبّج النص صوراً سابقة في نفسه قصداً

١- الخطية والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، عبدالله الغدامي، ص ٣٢٠ وما بعدها.

٢- ينظر: المرجع السابق، ص ٣٢٠.

٣- ينظر: المصدر السابق، ص ٣٢٥.

أو عن غير قصد^(١). فالتناص عنده حدوث علاقة تفاعلية بين نص سابق ونص حاضر لإنتاج نص لاحق، وهو أيضاً "تضمينات لا واعية أو تلقائية تقع في النص دون اصطناع علامات تنصيص"^(٢).

كما ظهرت دراسات نقدية عربية اهتمت بالجانب التطبيقي لمفهوم التناص على الشعر العربي قديماً وحديثاً. ولعل دراسة محمد بنيس (ظاهرة الشعر العربي المعاصر في المغرب) من الدراسات العربية النقدية التطبيقية، التي حاولت أن تقدم صياغة جديدة لمصطلح التناص بـ (النص الغائب)، والنص الشعري عنده بنية لغوية متميزة ليست منفصلة عن العلاقات الخارجية بالنصوص الأخرى، وهي ما يطلق عليها بـ(النص الغائب)، يقول: (إن النص كشبكة تلتقي فيها عدة نصوص، وهي نصوص لا تقف عند حدّ النص الشعري بالضرورة لأنها حصيلة نصوص يصعب تحديدها، إذ يختلط فيها الحديث بالقديم والعلمي بالأدبي والعمومي بالخاص والذاتي بالموضوعي^(٣)).

أما أحمد قدور فإنه يناقش ظاهرة التناص في مقالته (الظواهر التناصية في الشعر العربي الحديث) من خلال عرضه ونقده لدراسات الغدامي ومفتاح ورماني وغيرهم، وقد عرّف التناص بقوله: "عملية تفاعل معقدة غالباً، وغير ظاهرة إلاّ بإعادة

١- في نظرية النص الأدبي، عبدالمك مرتاض، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ٢٠١٤، كانون الثاني، ١٩٨٨، ص٥٣.

٢- المصدر السابق، ص٥٧.

٣- ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقارنة بنيوية تكوينية، محمد بنيس، ص٢٥١.

النظر، أما النص فهو في طبيعته اللغوية تاريخي لا يتحقق إلا عبر نصوص أخرى كثيرة"^(١).

وقد زاد على أشكال التناص في الدراسات السابقة، فوضع أشكالاً للتناص إذ يقول: "ومهما يكن من أمر فإننا نقترح ختاماً للأشكال التي مررنا بها إخراج ما يتعلق بـ(المكوّنات) من التناص، ونقتصر التناص على ما دعونا به (المظاهر) التي تتجلى فيها النصوص الغائبة... وهي أولاً: النظر في النص الغائب بحسب مرجعه وموقعه من الثقافة عامة، والفن المستخدم فيه خاصة، وصلته بنصوص الشاعر الأخرى. ثانياً: النظر في الشكل الدلالي للتوظيف، وهو الشكل الذي ينبئ بالنص الغائب، كأن يكون الشكل نصاً محدداً، أو مفردات تعاد صياغتها... أو إشارة مركزة عبر "عنوان" النص - ثالثاً: النظر في وظائف هذا الشكل الوردية أو المحال عليه، من النواحي اللغوية والبلاغية- النقدية والموسيقى، والاعتماد في استخراج ذلك كله يكون على السياق الدلالي ومعطيات العمل من داخله".

يتضح مما سبق أن التناص عند أحمد الزعبي لا يخرج عن مفهوم المصطلحات النقدية القديمة، يقول: (ومفهوم التناص ليس جديداً تماماً في الدراسات النقدية شرقاً وغرباً بتسميات ومصطلحات أخرى، فالاقْتباس والتضمين والاستشهاد

١- الظواهر النصية في الشعر العربي الحديث، أحمد قدور، مجلة بحوث جامعة حلب، سوريا، ع ٢١٤، ١٩٩١، ٢٥١.

والقرينة والتشبيه والمجاز والمعنى وما شابه ذلك في النقد القديم هي مسائل أو مصطلحات تدخل ضمن مفهوم التناص في صورته الحديثة".

ويستخدم موسى رابعة التضمين مرادفاً للتناص في بحثه عن ظاهرة التضمين في معلقة امرئ القيس يقول: (ويمكن أن ينظر إلى التضمين على أنه مظهرٌ من مظاهر تفاعل النصوص تداخلها، ولهذا ليس هناك من ضيزٍ إذا ما نظرنا إلى هذا المفهوم في ضوء مفهوم معاصر، هو مفهوم التناص، الذي ظهر على يد جوليا كريستيفا وباختين وبارت وجنيت ودريدا وغيرهم، فحسب كريستيفا "إن النص يمكن أن يكون عبارة عن فسيفساء من الاستشهادات، وإن كل نص تشرب وتحويل لنصوص أخرى"^(١).

ولعل تعريف بارت للتناص بأنه "تضمينات بدون تنصيص" يشكل قاعدة أساسية انطلق منها النقاد العرب الذين ربطوا التضمين بالتناص، لأن التضمين أقرب لتراثنا النقدي.

من خلال العرض السابق لآراء النقاد الغربيين والعرب لمفهوم التناص، يتضح أن هذا المفهوم من المفاهيم الحدائثية التي تقوم على دراسة النصوص الأدبية وتداخلها مع بعضها بعضاً، والعلاقات التي تحكم هذه النصوص فيما بينها. الأمر

١- ظاهرة التضمين البلاغي، دراسة في تضمين الشعراء العرب القدماء لمعلقة امرئ القيس، موسى رابعة، أبحاث اليرموك، مج ١٤، عدد ٢، ١٩٩٥، ص ٢٢.

الذي يجعل النص مفتوحاً أمام السابق والمعاصر في علاقات تتجاوز الموافقة أو المعارضة أو السرقة. فالتناص بهذا المفهوم يكون الأقرب لمفهوم السرقات الأدبية القديمة التي شغلت النقد الأدبي لمدة قرنين على الأقل. و"السرقات هي البداية الحقيقية للمفهوم ما بعد الحداثي والمصطلح النقدي الباهر الذي استخدم للدلالة عليه وهو (التناص) أو (البيّنسية)، وما توصل إليه البلاغيون العرب بعد قرنين كاملين من الجدل والجدل المضاد من تعريف للسرقة الأدبية وما لا يمكن اعتباره كذلك، والقواعد التي تحكم هذا وذاك يعتبر تقنياً كاملاً وتنظيراً أدبياً بحكم عمليات التأثير والتأثير، ويحمي النص في نهاية الأمر من فوضى اجتياح حدود النص التي جاء بها مفهوم التناص"^(١).

١- انظر: المرايا المقعرة، عبد العزيز حموده، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت، ٢٠٠١، ص ٤٤٥-٤٤٦.

الفصل الثالث

التناص وأنماطه في شعر المتنبي

المبحث الأول: التناص الديني في شعر المتنبي.

المبحث الثاني: التناص الأدبي في شعر المتنبي.

المبحث الثالث: التناص الأسطوري في شعر المتنبي.

المبحث الرابع: التناص التاريخي في شعر المتنبي.

المبحث الأول: التناص وأنماطه في شعر المتنبي

لم يعد ثمة مجال للشك في أن الشاعر يتشرب نصوصاً مختلفة تصبح بالتدرج عنصراً أساسياً من ذاكرته الفنية، وتمتج هذه النصوص وتذوب بمعارفه المتنوعة، ومهاراته الكتابية، وتصبح فيما بعد تكوينه الثقافي. وقد تحدث النقاد العرب القدماء عن هذه الظاهرة، وحثوا الأديب على استظهار نصوص تنتمي إلى سياقات معرفية متعددة، وضمها، وتمثلها، مؤكدين بذلك حتمية التأثر والتأثير بين الأدباء^(١)، وهذا يعني بأن للنصوص الشعرية أصولاً تستقى منها أو تستند إليها بوعي أو بغير وعي، وتحضر فيها بصورة أو بأخرى. فالتناص أمر حاصل بين الشعراء وبسبب ذلك لا بد من الحديث عن أنماط التناص في شعر المتنبي.

١- دلالات التناص في قصيدة (راية قلب)، لابراهيم نصر الله، أحمد الزعبي، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان، مج ٢، العدد ١٩٩٥، ص ٢١٦

المبحث الأول: التناص الديني في شعر المتنبي

يتناول هذا البحث التناص في شعر المتنبي الذي شغل الدنيا بشعره، ويركز على التناص الديني وأثره في إثراء النص الشعري وإسناده توزع البحث في مقدمة وقسمين وخاتمة إضافة الى قائمة المراجع والمصادر.

تناول في مقدمته عرضاً موجزاً لمفردات البحث واشتغل على تأسيس لفهم التناص ومكانته في النص الشعري ثم تصدى قسمه الاول للتناص الديني:القرآن الكريم وأشار ذلك في شعر المتنبي إضافة الى تناول جملة من الشواهد الشعرية التي يبدو بينها تأثر الشاعر بالقرآن الكريم وأما القسم الثاني فقد تناول التناص الديني: الحديث الشريف. وأثره في شعر المتنبي وعمد الى تحليل بعض الامثلة الدالة على ذلك وفي خاتمة البحث قدم أهم النتائج التي تصل اليها واتبع البحث بقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: التناص الديني، المتنبي، الشعر.

المبحث الأول: التناص الديني في شعر المتنبي

على مر التاريخ كانت للعظماء بصمات واضحة وتبقى آثارهم شاهدة على إبداعاتهم في أي مجال من المجالات، سواء في التاريخ أم الشعر أم غير ذلك، ومن الشعراء الذين شهدت لهم الأجيال بأنه كان متفوقاً ومبدعاً بين أقرانه من الشعراء الشاعر المتنبي، والذي

مما لا شك فيه بأن للشعر مكانة بارزة في حياة العرب فقد أولوه جل عنايتهم ورعايتهم وحظي باهتمام كبير عندهم حتى قيل الشعر ديوان للعرب.

كما كان للشعراء ذات المكانة العالية عند العرب لم تقل عن مكان الشعر. بل قد تتزايد بعض الشيء وقد برز الكثير من الشعراء عبر عصور الأدب العربي ابتداء من العصر الجاهلي مروراً بالاسلامي والاموي وصولاً الى العصر العباسي وفي هذا العصر - العباسي - نبع جملة من الشعراء. يقف على رأسهم الشاعر الكبير. المتنبي الذي شعل الدنيا بشعره وهو القائل:

أنام ملء جفوني عن شواربها ويسهر الخلق جراها ويختصم

والمتنبي يعد من أبرز الشعراء العربية وقد قبيل فيه الكثير وقامت حوله دراسات كثيرة وأن دل هذا على شيء فإنما يدل على مكانته وقيمته.

ظهر الشاعر المتنبّي في العصر العباسي، وقد كان من الشعراء المميزين ونال استحسان من الخلفاء والأمراء والممدوحين، كما أنه نال استحسان الأعداء لما كان لشعره من وقع في نفوس الآخرين، وهو أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي، وقد لقب بالمتنبّي، كما لقب بأبي الطيب، وقد ولد في محلة كنده بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ، من أسرة خافضة الطنب، وهو عربي الأصل، ويتعصب للعربية، وقد نشأ نشأة بدوية رغم تحضره، وقد أخذ اللغة وهو في البداية^(١).

التناص مصطلح نقدي حديث. ارتبط ظهوره بجوليا كريستيفا. وقد حظى على ساحة الدرس النقدي الحديث فقد تناوله كثير من النقاد في الدرس والتحليل تناولوه من حيث المفاهيم والنشأة والاصول والانواع. إضافة الى محاولة تلمس أثره في النصوص الادبية الشعرية فكانت أم نثرية.

لأقى التناص اهتماماً كبيراً في النقد العربي قد لا يقل هذا الاهتمام عن حاله في النقد الغربي.

خطي التناص باهتمام بالغ من النقد، فقد تمت دراسة هذا وملاحقته من كل الجهات تنظيراً وتطبيقاً، ويعرف التناص على أن: " النص ما هو الا عملية استبدال

^١ - (الثعالبي، ٢٠٠٠: ١/١٣٩-٢٧٧).

من نصوص أخرى ، ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى، وبهذا فإن تقاطع النظام النصي المعطى كممارسة سيميولوجية.

وللتناص صلة قوية بجملة من المصطلحات المقاربة له ولاقى كالاقتباس والضمين. ومن هنا تتقارب المصطلحات في المنظومة النقدية العربية والغربية. فإن كان التناص وليد الدرس النقدي الغربي لكته يرتبط بعلائق تشابكية مع بعض المقاربات الاصطلاحية العربية.

ومن هنا تبدو الاقتباسات والتضمينات قريبة جداً من التناص وبالامكان دراستها ضمن دائرة الدلالية التي يؤشر اليها التناص.

كما هو معلوم فإن الاقتباس يشير الى استدعاء النص القرآني في الاقوال الادبية استناداً لها وتقوية لاداءها عند المتلقي.

ومن هنا فإن البحث سعمد الى دراسة التناص الديني من خلال جملة الاقتباسات القرآنية التي اعتمد عليها شاعرنا واستدعاها في نصوصه الشعرية.

ويقصد بالتناص الديني تداخل نصوص دينية مختارة من خلال الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم أو السنة النبوية، واستحضار قصص أو إشارات دينية وتوظيفها في سياقات القصيدة لتعميق رؤية معاصرة يراها في الموضوع المطروح أو القضية المعالجة، مفترضاً في التناص انسجامه مع النص الجديد وتعمقه وتعمل

على إثرائه فكرياً وفنياً، وهو أسلوب فني يوظف لبلورة الحاضر من خلال تجربة الماضي، وتستحضر لتعزيز موقف الكاتب من رؤى ومفاهيم يطرحها أو يثريها في نصه، كما أن التناص الديني يكشف عن وجهة نظر الشاعر بأن كتاب الله هو مصدر من مصادر البلاغة المتميزة، كما أنه يحمل للإنسان في كل زمان ومكان الدلالات اللامتناهية ويفسر الأشياء التي تمس حياة الإنسان، مما جعل الشعراء ومنذ القدم يعودون إلى كتاب الله تعالى ليستقوا منه ما يبلور وجهات النظر ومواقفهم بشكل عام (١).

كما أن الاقتباس من كتاب الله ومن سنة رسول الله يمثل أحد مظاهر تعامل الشاعر مع التراث، ويكشف عن مقدرة الشاعر على التفاعل مع النص الديني، ومثل هذا الفهم يبين أن الاقتباس ليس مؤداه التسجيل للنص القرآني، وإنما الافادة من هذا النص للكشف عن مواقف شعرية أحس الشاعر بها "فالاقتباس ليس مجرد عملية يقوم بها الشاعر دون أن يكون له وظيفة، وإنما هو عملية تفجير لطاقات كامنة في هذا النص يكتشفها شاعر بعد آخر، كل حسب موقعه وإحساسه الشعوري الراهن" (٢).

١- (نصر الله والزعبي، ١٩٩٥، ص ٢١٦).

٢- (اسماعيل، ٢٠٠٧، ص ٣٢).

ثمة حضور كبير في شعر المتتبي، وقد حضرت أنماط كثيرة منه، أدبية ودينية وتاريخية وغير ذلك والملاحظ لشعر المتتبي يجد ان التناص الادبي قد يكون الاوفر حظاً في شعره.

والقارئ لديوان المتتبي يجد انه يزخر بأنواع عدة من التناص، خاصة الديني والأدبي، وجاءت النصوص منسجمة مع السياق الشعري، ومتسقة مع النص الأصلي، الأمر الذي جعل النص الشعري مترابطاً ومقنعاً فكرياً وفنياً، وهذا يؤكد أن المرجعيات الدينية هي الأقدر والأبلغ للتعبير عما يجول في نفسية الشاعر، وكذلك فإنها تضيء على النص السمات الجمالية التي تفوق الكلام العادي من حيث البلاغة والبيان ويشمل التناص الديني كل من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف^(١).

أولاً: التناص القرآني في شعر المتتبي:

عند المقارنة بين التناص الأدبي والتناص الديني، نجد أن الأول هو الأكثر، وذلك يعود بالحديث عن المتتبي إلى أنه كان يركز في مدائحه على البطولات والشجاعة، وهو الطابع الغالب لشعره، وهو بذلك يكون قد خالف الشعراء الذين مدحوا الحكام والولاة والقادة، والذين كان يخلعون على الممدوحين صفات دينية ودينية^(٢).

١- (نصر الله والزعي، ١٩٩٥، ص ٢١٧).

٢- (فضل، ١٩٩٧، ص ١٧).

أفاد المتنبى من القرآن الكريم كثيراً واستحضر آياته وألفاظه وتراكيبه وصوره ووظائفها توظيفاً دقيقاً في شعره. غايته في ذلك أحداث الأثر البالغ عند المتلقي لما للقرآن قيمة ومكانة وأثر في نفوس المتلقين

ثمة شواهد شعرية كثيرة تحضر في ديوان المتنبى تتقاطع مع آيات القرآن الكريم، ويعتمد فيها الشاعر أساليب مختلفة فمنها ما يبدو مباشرة وبعضها الآخر يعتمد الإيحاء والإشارة.

سيحتضر المتنبى بعض القصص القرآنية التي تتقاطع مع واقع الحياة العباسية. فهو يعمد إلى تصوير الحياة العباسية من خلال استدعاء بعض القصص. ثم قصة تؤشر إلى كيفية اعراض العديد من الأقوال عن أنبياء الله عند دعوتهم لهم. وكيف أن هذه الامم كانت تعمد إلى تكذيب الانبياء.

- آلت الدولة العباسية إلى الضعف والتشتت نتيجة إلى سيطرة العنصر الفارسي والاعاجم مما شكل حالة درة فعل عند الكثيرين من أبناء الدولة العباسية ومنهم الشاعر الذي عبر عن رفضه للواقع وتمره عليه.

وقد ترك بغداد وأتجه للشام وأخذ يشهد لهم يقول الشاعر:

ما مُقامي بأرضِ نخلَةٍ إلا لمُقام المسيح بينَ اليهودِ
مُفرشي صَهْوَةُ الحصانِ ولِ كَنِّ قميصي مسرودَةً من حديدِ

أنا في أمةٍ تداركها الله غريبٌ كصالحٍ في ثمود^(١)

وفي الأبيات السابقة يصور أبو الطيب المتنبّي واقعه وتمرده على هذا الواقع، ويشكو من الغربية، وضرب لذلك مثلاً وهو إقامة نبي الله عيسى بين اليهود وهم أعداء له، حيث لم يستجيبوا لدعوة عيسى عليه السلام وقد وصف شجاعته من خلال أنه لا يفارق صهوة الجواد، وأن قومه لا يعرفون قدره، كما أن أهل مدين لم يعرفوا قدر صالح عليه السلام، وقد افاد الشاعر أبي أبياتها السابقة من قوله تعالى: "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار" (سورة المائدة، الآية ٧٢).

كما بيّن الشاعر من خلال التلميح والإيحاء لبعض قصص القرآن ليعبّر عن قلق الإنسان الوجودي تجاه الخطيئة التي اقترفها آدم عليه السلام وتوارثها البشر، وهي تعبّر عن معاناة الإنسان في الحياة الدنيا لعدم القناعة والرضا بالواقع والطموح لتحقيق ما هو أفضل وفي ذلك يقول الشاعر:

أبوكم آدمُ سنّ المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان^(٢)

^١ - (العكبري، ٢٠١٢، ص ٣ / ٣١٩).

^٢ - (العكبري، ص ٤ / ٢٥٦):

هنا نجد أن الشاعر يستدعي الآيات القرآنية ليعبر عن الحالة الشعورية،
فقصة آدم عليه السلام تمثلت بعدم الالتزام بأمر الله عز وجل، يقول الله تعالى:
"وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه
الشجرة فتكونا من الظالمين، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا
اهبطوا بعضهم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين" (سورة البقرة،
الآيات ٣٥، ٣٦).

كما تفنن المتنبي في الإفادة من كتاب الله عز وجل، مع استحضاره للألفاظ
والتراكيب والصور، وقد تمثل ذلك في استدعاء الكلمات المفردة وتبني الجو القرآني،
ومن ذلك فقد استدعى عدداً من الآيات وعبر من خلالها عن الحالة الشعورية له،
في بحثه عن الأمل المفقود والذي طالما بحث عنه وهو ينتقل هنا وهناك، وفي ذلك
يقول:

إذا ما ذكرنا جودة كان حاضراً نأبى أودنا يسعى على قدم الخضر^(١)

وفي هذا البيت مدح الشاعر أبا الحسن بن إبراهيم، وبين أن ذكر ممدوحه
يقترن بحضوره، وكذلك فإن ذكر الخضر يقتضي حضوره وتواجده، وقد استفاد
المتنبي من عدد من الآيات القرآنية من سورة الكهف حيث يقول الله تعالى: "فوجدنا
عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً قال له موسى هل أتبعك

١- (العكبري، ص ٢ / ١٣٧)

على أن تُعلمني مما علمت رشداً قال إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً، قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً" (سورة الكهف، الآيات "٦٥-٨٢").

كما أن الشاعر وظف العديد من الاقتباسات من القرآن الكريم في نصوصه الشعرية في مجال فخره بنفسه وبالممدوحين، وقد استغل دلالة الآيات للتعبير عن واقعه، موجهاً النص القرآني توجيهاً نفسياً ويتضح ذلك من خلاله الافتخار بنفسه وبقدرات الممدوحين وشجاعتهم في الحروب، وفي ذلك يقول:

وضاقت الأرض حتى كان هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً^(١)

وقد مدح الشاعر ممدوحه سعيد الكلابي المنبجي، وبين أن خوف الأعداء جعلهم يشعرون وكأن الأرض قد ضاقت بهم، وقد استفاد المتنبي من قوله تعالى: "لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين" (سورة التوبة، الآية ٢٥).

كما نجد أن الشاعر المتنبي يفتح على النص القرآني ليكشف من خلال هذا النص رؤيته للقيم والمثل وسمو مكانته، وقد استوحى ذلك من القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى: "إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى

١- (العكبري، ص ٣ / ١٦٨):

ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين" (سورة آل عمران، الآية ٤٥).

حيث أن الشاعر وصف من خلال هذه الآيات الكريمة السابقة سمو وعلو مكانة سيدنا عيسى عليه السلام كما أظهر المتنبى براعة فائقة في التعامل والتمثل للنصوص القرآنية، ومنها هذه النصوص وإدركها بشكل واع، الأمر الذي يجعل عملية الاقتباس "عملية تفجير لطاقات كامنة في النص يستكشفها شاعر بعد آخر كل حسب موقفه الشعوري الراهن"^(١)، وتحضر الآيات القرآنية عن حديثه عن قضية الموت والخلق والبعث وفي ذلك يقول:

بنفسي وليد عاد من بعد حمله إلى بطن أرض لا تطرق بالجمل^(٢)

وفي هذا البيت يرثي الشاعر عبدالله بن سيف الدولة، وقد قاله في سبيل التعزية والتسلية وتخفيف وقع هذه المصيبة.

وقد استلهم ذلك من قوله تعالى: "فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة"

(سورة النازعات، الآية ١٣، ١٤).

١ - (اسماعيل، ٢٠٠٧، ص ٣٢)

٢ - (العكبري، ص ٣/ ٤٨)

وهناك العديد من الأمثلة التي لا يتسع المجال لذكرها، ولكن الأمثلة السابقة تدلل على مدى استفادة المتنبي من النص القرآني للتعبير عن معان متعددة حيث إن النص القرآني نص متجدد حسب متلقيه، له القدرة على التعبير عما يجول في خاطر الشاعر ومهما يكن فإن أهمية التناص تكمن في مقدرة الشاعر على التعامل مع النص الغائب وتمثله في نصه الجديد.

ثانياً: الحديث النبوي الشريف:

يعد الحديث النبوي الشريف المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، ومنهل ومعين يأخذ منه الشعراء والأدباء، كون الحديث يتميز ببلاغة التعبير، كما أن التعامل مع هذه المصادر التراثية يضفي سمات جمالية على النصوص تفوق الكلام العادي لما تتميز به من الخصائص التي لا تضاهيها من حيث البلاغة وقوة التعبير وترف وقدسيتها اللغوية، وقد استثمر المتنبي عدة اقتباسات من الحديث النبوي الشريف، واستغل الدلالات والإيحاءات للتعبير عن الواقع الشعوري، موجهاً الحديث توجيهاً نسبياً يوضح لنا من خلاله الافتخار بنفسه وبقدرات الممدوح وشجاعته في الحروب ومن ذلك قوله:

يا بني الحارث بن لقمان لا تعدمكم في الوغى مقون العقاق

بعثوا الرعب في قلوب الأعداء فكأن القتال قبل التلاقي^(١)

فالشاعر يمدح الحسين بن علي بن الحمدان بأن وصف معه فرسانه في الحرب، وأنهم دائماً ييئون الرعب في قلوب الأعداء، ولشدة خوف الأعداء فكأنهم قاتلوهم قبل أن يلقوهم، حيث إن البيت الثاني يتناص مع الحديث النبوي الشريف، حيث قال صلى الله عليه وسلم (لقد نصرت بالرعب)^(٢).

كما أن الشاعر استثمر الأحاديث النبوية الشريفة باستدعائها وتوظيفها في سياق الافتخار بقوة نظم شعره المحكم وقوة تأثيره وبيانه الرائع، وفي ذلك يقول:

إن بعضاً من القريض هذاء ليس شيئاً وبعضه أحكام

منه ما يجلب البراعة والفضد ل منه ما يجلب البرسام^(٣)

ونلاحظ أن الشاعر يمدح علي الخراساني ويقول: بعض الشعر هذيان لا فائدة فيه وبعضه حكمه يكون عن فضل ومعرفة ومنه ما يكون عن مرض وجنون فالشاعر استثمر ألفاظاً من الحديث الشريف لتأكيد رأيه بشعره/ قوله صلى الله عليه

١- (العسكري، ص ٢ / ٣٦٦):

٢- (الأنصاري، ٢٠٠٤، ص ١ / ٣٣٠).

٣- (العسكري، ص ٤ / ١٠١):

وسلم: "إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحر"^(١)، حيث ضمن المتنبي نصه ألفاظاً من الحديث الشريف.

وترى الباحثة أن الأمثلة على الاقتباس من الحديث الشريف كثيرة لا يسمح المجال للوقوف عليها كلها وتحليلها وتم الاكتفاء بهذين المثالين ليدلا على وجود ظاهرة التناسل مع الحديث عن طريق الاقتباس للتعبير عن الحالات الشعورية المماثلة لمعاني هذه الأحاديث.

خاتمة:

تناول البحث موضوع التناسل الديني عند الشاعر أبي الطيب المتنبي، وقد خلص البحث إلى نتائج عدة منها:

١. أن الشاعر المتنبي حاول بلوغ مراده اللغوي الشعري من خلال توظيف التناسل الديني.

٢. أن الشاعر المتنبي انطلق من معاني القرآن الكريم إلى معاني تجديدية متجاوزاً معاني من سبقه من الشعراء.

^١ - (الطبري، ١٩٩٥، ص ٣٤٦/٥)

٣. كان خيال أبي الطيب المتنبى عالياً، حيث كان يفكر ملياً لاختيار المعاني التي يوظفها في شعره وقد استخدم الرمز والإشارة، وجعل ذلك تجربة شخصية له.

٤. حاكى المتنبى أسلوب القرآن الكريم وعباراته العظيمة من خلال التناص، فكان المسعف في تأدية الغرض والصورة معاً.

المبحث الثاني: التناسل الأدبي في شعر المتنبي.

توزع التناسل الأدبي في شعر المتنبي إلى أقسام، وهي على النحو الآتي:-

١- المواعظ وأقوال الحكماء

إن التراث الإنساني حصيلة تجارب الفكر الإنساني على مر العصور، حيث إنه أصبح يردد في كل مقام وحال للتعبير عن حالات مشابهة على سبيل الوعظ والإرشاد. وتعد المواعظ وأقوال الحكماء من المصادر التراثية الإنسانية التي ينهل منها الشعراء على مر العصور يرددونها، ويغذون عقولهم منها، لما تمتاز به من بلاغة وإيجاز، يعبر بها عن أفكار، وقيم مثلى تتعلق بحياة الإنسان نتيجة تجارب إنسانية في الحياة، ويستشهد بها في كل حادثة، ومناسبة مماثلة على سبيل الوعظ، والإرشاد، والتوجيه، والحكمة. والمواعظ وأقوال الحكماء تصدر عن تجربة إنسانية، تمتاز بالإيجاز وقوة التعبير، وتصدر عن ذوي التجارب وأصحاب العقول الراجحة والمشاهير في كل زمان ومكان.

ويستثمر الشاعر أقوال الحكماء في تقرير قيم إنسانية فضلى، تعد من صميم الإنسان وجوهره، تتمثل بالتمسك بالأخلاق الفاضلة ونبذ الرذائل وتركها، حيث إنه استثمر قول أرسطو: (من لم يقدر على فعل الفضائل، فليترك فضائله ترك

الرزائل^(١). ومعنى ذلك أن من يتجنب الرذائل في هذا الزمان فقد أحسن، وفعل جميلاً، فقد أخذ المنتبي معنى قول الحكيم وأعاد بناءه بسياق لغوي جديد للتعبير عن المعنى نفسه والحالة الشعورية، حيث يقول^(٢):

إنا لفي زمنٍ تركُ القبيحِ بهِ من أكثرِ الناسِ إحساناً وإجمالاً

فالشاعر يمدح أبا الشجاع فاتكا، ويقول: إننا في زمان من فيه إن لم يعاملنا بالقبيح، فقد أحسن إلينا، وأجمل لكثرة من يعاملنا فيه بالقبيح، وما أراد المنتبي هنا أنه نبه على انفراد فاتك في دهره، وانفراده بالكرم عن أبناء عصره، فهو يريد القول: إنَّ لفي زمنٍ إمساك أهله عن قبح الفعل، وتأخرهم عن مذموم السعي فضل يؤثر، وإحسان يحمد ويشكر، فكيف اتفق فيه فاتك، وهو رئيس المحسنين وزعيم الكرماء المنعمين. فالمنتبي يرى ممدوحه حالة فريدة بأخلاقه وقيمه المثلى، في عصر طغت فيه الأعمال السيئة. فكما جعل الحكيم ترك الرذائل فضائل لمن لا يستطيع فعل الفضائل، فكذلك ممدوح المنتبي فإن فضائله فاقت رذائل عصره وطغت عليها. فقد ضمن قول الحكيم: (فليكن فضائله ترك الرذائل) في نصه (إننا لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً) فترك الرذائل والإساءة إلى الآخرين بمثابة الإحسان إليهم، لكثرة الرذائل، وهذا من الفضائل المحمودة لأنه يجنبهم الإساءة

١- كتاب التحفة البهية والطرفة الشهية، أبو منصور الثعالبي، ص ١٥٣.

٢- ديوان المنتبي، العكبري، ص ٢٨٧/٣.

والأذى. فقد تشرب المنتبى هذا القول وأعاد صياغته بأسلوب شعري، عبر فيه عن حالته الشعورية وما كان يلاقيه من الحساد والعدال.

ويجسد الشاعر بالتلميح والإيماء مع قول أرسطو، قيمة إنسانية تتعلق بحياة الإنسان وضرورة اغتنام الفرص، وعدم التسويف والتأجيل في الأمور، فقد استثمر المنتبى للتعبير عن هذه القيمة قول أرسطو: (من قصر عن أخذ لذاته عدمها، وعدم صحة حسه) ^(١). فقد ضمن المنتبى معنى أرسطو في نصه، حيث يقول ^(٢):

دع النفس تأخذُ وسعها قبل بينها فمُفترقُ جاران دارهما القمر

فالشاعر يمدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي ويقول: دع نفسك تأخذ ما تقدر عليه من سلمٍ أو حربٍ أو مالٍ، فإنها مفارقة الجسد، فإنهما جاران (النفس والجسد) صحبتهما مدة العمر، فإذا فني العمر افترقا. فقد ضمن المنتبى معنى قول أرسطو في نصه كاملاً، وهذا يعد أحسن ما نظم المنتبى في هذا الكلام. فقد جعل الجسم والروح جارين والعمر دارهما وصحبتهما تكون مدة العمر فإذا فني العمر افترقا. كما أنه ضمن ألقاظاً بعينها من قول أرسطو: (من قصر عن أخذ لذاته عدمها)، في قوله: (دع النفس تأخذ وسعها قبل بينها).

١- كتاب التحفة البهية والطرفة الشهية، أبو منصور الثعالبي، ص ١٥٧.

٢- ديوان المنتبى، العكبري، ص ١٤٨/٢.

المثل هو القول السائر الذي قيل في حدث معين وفي قصة خاصة، لكنه جرى على الألسنة وصار يطلق على أية حال تشبه تلك الحادثة الذي قيل فيه^(١). فهو جملة من القول مقتطفة من كلام أو مرسله بذاتها، تنقل ممن وردت فيه إلى مشابهة بدون تغيير، ويتميز المثل بإيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة.

لعل المتنبي بسعة أفقه وثقافته لم يفته مصدر من مصادر التراث الإنساني إلا وقد نهل منه، فقد نهل من الأمثال الشعبية ولون بها شعره، وعبر بها عن خواطره ومشاعره ورؤاه وأرسلها حكماً وأمثالاً تتردد عبر العصور، فالأمثال ظاهرة واضحة في شعر المتنبي "فكانه يترجم ما يدور في خواطر الناس وأذهانهم أمثالاً وحكماً"^(٢).

فقد استثمر المتنبي المثل في التعبير عن قيمة إنسانية تعد من صميم الإنسان وجوهره تتمثل في تهافت الإنسان وانشغاله بالدنيا، وعدم قناعته منها، وأن رغباته لا تنقضي، فهو دائم السؤال والبحث عنها، فقد ضمن نصه المثل العربي:

١- كتاب الأمثال في الحديث النبوي، لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق وتصحيح عبد العلي عبد الحميد، الدار السلفية، الهند، ١٩٨٢، ص ١٠.
٢- المتنبي بين المادحين والقادحين، عبد الباقي أحمد خلف، مجلة المعرفة، دمشق، العدد ٤٩٢، أيلول، ٢٠٠٤، ص ٢٤٢.

مأربة لا حفاوة^(١) وهو يضرب مثلاً للرجل إذا كان يتملقك، أي إن بك حاجتك إليّ،
لا حفاوة بي، فقد ضمن المتنبي نصه المثال لفظاً ومعنى للتعبير عن الحالة
الشعورية نفسها، حيث يقول^(٢):

وما قضى أحدٌ منها لُبائتَهُ ولا انتهى أربٌ إلا إلى أربٍ

فالشاعر يرثي أخت سيف الدولة ويقول على سبيل الوعظ، لم يقض أحد
حاجته من الدنيا لأن حاجات الإنسان لا تنقضي فإذا فرغ من أرب (حاجة) انتهى
إلى أرب آخر. فكما أن المصالح والحاجات هي التي تقيم العلاقات بين الناس،
فكذلك فإن الرغبات والحاجات هي التي تربط وتقيم العلاقة بين الإنسان والدنيا، فهي
علاقات متواصلة لا تنقضي أبداً فالمعنى واحد في النصين، فعلى الرغم من اختلاف
المقام الذي نشأ فيه النصان "إن عودة الشاعر للتراث يستلهم منه ليس عودة
اعتباطية، وإنما هي عودة مقصودة ذات هدف وغاية لأن الشاعر لا يستتطق النص
القديم إلا إذا رأى فيه نفسه وذاته على الرغم من اختلاف المقام الذي أنشأ النصين
كليهما، وهذا يعني أن النص القديم قابل للتجديد والاستمرار في أي زمن"^(٣).

١- كتاب جمهرة الأمثال، أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، ضبط وتصنيف أحمد عبد السلام،
محمد سعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٨٩/٢.
٢- ديوان المتنبي، العكري، ٩٥/١. * لبائته: حاجته * الأرب: الحاجة أو الغاية.
٣- أدونيس منتحلاً، جهاد كاظم، ص ٣٩، ٤٨.

ليس ثمة شك من أن جوانب كثيرة من الفكر والثقافة والتراث الإنساني المشترك بين الأمم والناس جميعاً تتقارب وتتماثل، ولولا هذا التقارب الفكري لما قامت دراسات كالمنطق والفلسفة وغيرها. ولما استفادت الحضارات المتعاقبة من بعضها بعضاً. فالعصر العباسي قد تميز عن غيره من العصور بتمازج الثقافات والحضارات الإنسانية بشكل كبير مما دفع الشعراء إلى تمثل هذه الحضارات وهضمها، وتشربها، واستغلالها بما يتلاءم وطبيعة التجربة الشعرية.

وليس غريباً على شاعر كالمتنبي الذي تربي في هذا العصر، وتشرب ثقافته المتعددة أن ينعكس كل ذلك في شعره. "فقد التحق في المدارس الشيعية العلوية، وتعلم تعاليم الشيعة، ولازم المتفلسفة ومدحهم كأمثال أبي الفضل الذي كانت لديه نزعة قرمطية، لقتها المتنبي كما لقنه الآراء الفلسفية، مما كان له الأثر الواسع في تصويره للحياة، إذ بدت فيه نزعة التشاؤم، والثورة على الدهر والناس، فكان ثائراً متمرداً على المجتمع. كما أنه لازم أبا عبيدالله العلوي الشيعي ومدحه، كما امتدح هارون بن علي الأورجي وهو من المتصوفة الذي أخذ عنه تعاليم المتصوفة كما أنه انضم إلى حركة القرامطة في بلاد الشام أملاً في تحقيق أحلامه السياسية فسجن هناك، وبعد خروجه من السجن لازم سيف الدولة الأمير العربي الشيعي الذي قارع

الروم طويلاً ووجد فيه مثله الأعلى الذي يحقق آماله وطموحاته وما يجيش في صدره من ثورة على الزمن والمجتمع"^(١)، لذلك كله فقد انعكس هذا التمازج الثقافي والفلسفي في شعره، للتعبير عن أفكاره ورؤاه. ومن هذه الأفكار:

١. الأفكار الفلسفية اليونانية

لقد تبلور التيار اليوناني في عصره على يد معاصره أبي نصر الفارابي، تبلوراً جعل الناس لا ينظرون إلى الفلسفة اليونانية من خلال كل فيلسوف على حدة، بل من خلال صورة عامة لها تجمع بين نظريات أفلاطونية وأرسطية وأفلاطونية محدثة، ساعد على تكوين هذه الصورة الفارابية نوع الترجمات عن فلسفة الإغريق وما دخلها من تشويهات كنسبة كتاب الأثولوجيا الأفلوطني إلى أرسطو، وفهم آراء الحكيمين من خلال شرح الأفلاطونية المحدثة التي سادت مدرسة الإسكندرية^(٢).

ومن أهم الأفكار الفلسفية التي تأثر بها المتنبي:

العالم فيض قديم من الله وليس مخلوقاً محدثاً بإرادة إلهية، فكأنه نور الشمس أو شذا العطر، مما يجعل القول يقدمه طبيعياً مع تقدير للذات الإلهية، أكثر مما عند أرسطو، إذا لم يوجد الكون إلى جانبها منذ القدم مستقلاً عنها

١- انظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٧، ١٩٦٩، ص ٣٠٣-٣١٢.

٢- المحصول الفكري للمتنبي، سهيل عثمان ومثير كنعان، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٦، ص ٧٥.

ومتحرّكاً بها فحسب، بل وجد منذ القدم منها وصادراً^(١)، فقد تشرب المتنبي هذه الفكرة الفيضانية الانتقائية وصاغها بسياق شعري مضافاً عليها دفتات لغوية معبراً عن رفضه لمثل هذه الأفكار، حيث يقول^(٢):

فإنَّه حُجَّةٌ يُؤذِي القُلُوبَ بِهَا مِنْ دِينُهُ الدَّهْرُ وَالتَّعْطِيلُ وَالقَدَمُ

ما أَقَدَرَ اللّٰهَ أَنْ يُخْزِي خَلِيقَتَهُ وَلَا يُصَدِّقُ قَوْمًا فِي الَّذِي زَعَمُوا

فالشاعر يهجو كافوراً ويقول: لو كان للإنسان أو للأشياء مدير، وكانت الأمور جارية على تدبير حكيم ما مُلِّك هذا الأسود، وإنما حكم لأن الناس بغير مدير، وما يريد قوله: إن تأمير وولاية كافور خزي للناس والله تعالى فعل ذلك عقوبة لهم. وهذا ما يقول به الدهريون الذين لا يؤمنون بدين ولا إله مستندين إلى قوله تعالى: (وما يهلكنا إلا الدهر...)^(٣).

٢. الأفكار الصوفية:

يستثمر الشاعر قول أهل التصوف لرسم صورته المثالية والتي تتمثل بترفعه عن الانجرار وراء الملذات والأهواء النفسية، حيث إنه استلهم قول أهل التصوف

١- لمصدر السابق نفسه ص ٧٦، انظر تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، دار القلم، بيروت، ص ٨٣-٨٥.

٢- ديوان المتنبي، العبري، ص ١٥١/٤.

٣- سورة الجاثية، الآية ٢٤.

"خذني مني وغيبني عني"^(١)، أي ينبغي أن تحول بينه وبين غيره، فقد أخذ المتنبّي هذا القول وتشريه وأعاد نظمه بسياق لغوي جديد، للتعبير عن المعنى نفسه الذي أراد أهل التصوف، حيث يقول^(٢):

إذا ما الكأسُ أُرْعِشَتِ اليدينِ صَحَوْتُ فلم تحُلْ بيني وبينِي

فالمتنبّي يفخر بنفسه، ويقدم الصورة المثالية للإنسان المثال الذي يترفع عن المفساد والملذات التي تذهب العقل فهو يقول: لا أشربها إذا كانت تحول بيني وبين عقلي. فقد استثمر المتنبّي معنى قول الصوفية وضمنه نصه. فكما أن الصوفية تؤمن بحضور العقل فكذلك الشاعر يبتعد عن الملذات التي قد تفسد العقل وتفقده الاستقامة في الأمور.

٣. مذاهب الشيعة:

تمثل المتنبّي مثل هذه العقائد والأفكار ليكشف من خلالها عن عقيدة الممدوح، فقد تشرب المتنبّي هذه الأفكار وصاغها نظماً بأسلوب شعري، يوحى بإيمانه العميق بها، حيث يقول^(٣):

يا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُصَفَّى جَوْهَرًا من ذاتِ ذي الْمَلَكُوتِ أسمى من سَمَا

١- الموسوعة الصوفية، عبد المنعم الخفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٨٩٢، ٨٩٣.

٢- ديوان المتنبّي، العكبري، ١٩٣/٤.

٣- ديوان المتنبّي، العكبري، ص ٣٠/٤، ٣١.

فَتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مَا لَنْ يُعْلَمَا

نُورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لَاهُوتِيَّةٌ

مِنْ كُلِّ عَضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَتَكَلَّمَا

وَيَهْمُ فِيكَ إِذَا نَطَقَتْ فَصَاحَةٌ

مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بِالْإِلَهِ فَأَحْلُمَا

أَنَا مُبْصِرٌ وَأُظُنُّ أَنِّي نَائِمٌ

فالشاعر يخاطب ممدوحه ويقول: إن الله تولى تصفية جوهره لا غيره، فهو جوهر مصفى من الله، وقد ظهر فيك نور إلهي، تكاد تعلم به الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وأن هذا النور الحال فيك يتكلم كل عضو ولا يقتصر على اللسان دون غيره. "إن الطابع العام لهذه الأبيات، حلولي كالحلول الذي يعتقد به بعض المتصوفة، وإن تميز عنهم بأنه لوجيه دنيوي، لا لولي متزهّد، لأن الأولياء العازفين من الدنيا لم تكن لتوضع بيوت المال تحت أيديهم في عصر المتنبّي المليء بمغامري السيف، أو كالحلول في بعض الديانات الشرقية القديمة^(١)، ويرى الواحدي "إن الشاعر تعمد إيراد هذه العبارات المستكرهة التي قد توحى بمعتقدات فاسدة حتى إذا ما رضي بها الممدوح اكتشف مذهبه المنحرف"^(٢).

يتضح مما سبق إن تمثل الشاعر للموروث قد انعكس بشكل واضح في فكره وإطاره الثقافي وإنتاجه الأدبي، لأن الشاعر يصبح أسيراً لثقافة العصر ومحصوله الفكري المتعدد المشارب والثقافات، وهذا يعد دليلاً على عبقرية الشاعر وقدرته على

١- المحصول الفكري للمتنبّي، سهيل عثمان، ص ٨٥.

٢- شرح ديوان المتنبّي، الإمام الواحدي، ٧٢/١.

محاورة النصوص الغائبة وهضمها وإعادة تشكيلها بلغة شعرية يعبر من خلالها عن رؤاه الوجدانية والشعورية.

المبحث الثالث: التناسل الأسطوري في شعر المتنبي.

إن العلاقة بين الفن والأسطورة هي علاقة قديمة، وربما كانت الأساطير مصدر إلهام الفنان والشاعر. ومع أن الأساطير مصنوعات خيالية تعود إلى العصور الغابرة لكنها كافة في حياتنا وأدبنا المعاصر وإن الشعراء المعاصرين قد استفادوا من ينابيع عالم الأسطورة لتبيين المضامين والمشاكل العالقة بالعالم الجديد، والأسطورة ليست مجرد نتاج ذاتي بدائي يرتبط بعصور التاريخ القديمة في حياة الإنسان بل هو دائماً عامل فاعل في حياة الإنسان في كل عصر وفي إطار الحضارة الصناعية والمادية الراهنة، وما زالت الأسطورة تعيش بكل حيويتها كمصدر إلهام الشعراء فهي وسيلة فعالة توسع إطار خيال الشاعر، وتساعدته للتعبير عن الأحاسيس والعواطف الاجتماعية، والسياسية، ولبيان المشاكل العالقة بالعالم الجديد من خلال توظيف شخصية أسطورية، أو باستخدام تقنية القناع في استدعائه للشخصية التراثية التي تحتل محور النص، فأصبح للأسطورة دور هام في الشعر المعاصر حيث إن الشعراء المعاصرين وجدوا أن المشكلات الروحية التي يعانيتها

أنفسهم في المجتمع المعاصر تنشأ في جزء منها الحاجة إلى الأساطير، يشعر بها بحرارة ويتخيلها في صورة حسية معاصرة، يشترك معهم في الإحساس^(١).

ويعرف التناص الأسطوري بأنه: "استحضار الشاعر بعض الأساطير القديمة وتوظيفها في سياقات القصيدة لتعميق رؤيته المعاصرة يراها الشاعر في قضية يطرحها"^(٢).

بناءً على ما ذكر سابقاً حول تمازج النصوص^(٣)، فإن القصائد ربما تضمنت تناصاً أسطورياً حيث يتكئ الشاعر على الأسطورة في سياق قصيدته ليعمق رؤيته في طرح أفكاره.

إن حديثنا عن توظيف الأساطير في الشعر، لا يعني العودة إليها وإقحامها في النص إقحاماً دون حاجة القصيدة إليها، تقليداً أو عرضاً لسعة الثقافة لدى الشاعر، بقدر ما يعني عملية تفجير طاقات جمالية وتوليد معان جديدة في النص الغائب الذي لم توجد فيه المعاني من قبل.

١- مهماسبي، عدنان، الأسطورة عند شعراء مصر المعاصرين (مجلة اللغة العربية وآدابها، عدد ٢٠٠٠، صيف وخريف)، ص ٧.
٢- أحمد الزعبي، التناص نظرياً وتطبيقياً (مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٠)، ص ١١٧.
٣- الفضيله عبد الرحيم حسين، فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ (دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان)، ص ١٦.

واعتماداً على الأبحاث السابقة ذات العلاقة يمكن أن يعرف التناس
الأسطوري بأنه عبارة عن تواجد أسطورة أو ملامح منها في نسيج القصيدة بما يخدم
الموضوع بشكل رمزي على الأغلب.

وتعرف الأسطورة اصطلاحاً بأنها "الأباطيل التي لا نظام لها"^(١).

ويعرف الدكتور أنس داوود الأسطورة بأنها: " مجموعة من الحكايات الطريفة
المتوارثة من أقدم العهود الحافلة بضروب من الخوارق والمعجزات التي يختلط فيها
الخيال بالواقع، ويمتزج عالم الظواهر بما فيه من إنسان وحيوان ونبات، ومظاهر
طبيعية، معالم ما فوق الطبيعة من قوى غيبية اعتقد الإنسان بألوهيتها، فتعددت في
نظرة الآلهة تبعاً لتعدد مظاهرها المختلفة"^(٢).

ويعرفها فراس السوارح على أنها حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يشف عن
معان ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان، يؤكد على الخصوصية القرآنية
للأسطورة التي تميزها عن باقي المظاهر الإنسانية الأخرى، فهي "حكاية مقدسة ذات
مضمون عميق يشف عن معان ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان"^(٣).

١- إحسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموضوعات، بيروت، ١٩٩٩، ص ٥٥.
٢- أنس داوود، الأسطورة في الشعر المعاصر، مكتبة عين شمس، القاهرة، د.ط، ١٩٧٥، ص ١٩.
٣- فراس السوارح، الأسطورة والمعنى، دار علاء الديو، دمشق، ط٨، ١٩٩٧، ص ١٤.

ونرى من خلال التعريفين السابقين أن الأسطورة تحكمها مبادئ السرد القصي من حبكة وعقود وشخصيات، محافظة بذلك عن ثباتها منذ فترة طويلة من الزمن، تناقلتها الأجيال، زيادة عن الطابع الجماعي الذي تتمتع به، أو ما يعرف بالخيال المشترك للجماعة، كما تلعب الآلهة الأدوار الرئيسية فيها، بحيث تجري أحداثها في زمن مقدس غير الزمن الحالي، تتمتع فيه بسلطة عظيمة وقدسية على عقول الناس ونفوسهم.

المبحث الرابع: التناص التاريخي في شعر المتنبي

ونعني بالتناص التاريخي استلهام نصوص تاريخية مختارة ومنقاة واستثمارها مع النص الجديد، يبدو فيه الانسجام وتطابق الرؤى لدى الشاعر مع الحديث الذي يرصده ويسرده ويؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً أو كليهما معاً، ونماذج التناص مع الأحداث التاريخية كثيرة في شعر المتنبي، وسنقف على بعض هذه النماذج التي نعتقد أنها للكشف عن دلالات هذه التناصات شكلاً ومضموناً وعلاقتها الظاهرة والخفية مع شعر المتنبي.

رسم المتنبي بالتناص التاريخي صورة الممدوح المثل التي تتمثل في الشجاعة الكرم وإيثار النفس، حيث يقول^(١):

كُلُّ يَريْدُ رِجالَهُ لِحِياتِهِ يا مَنْ يَريْدُ حِياتَهُ لِرِجالِهِ

فالشاعر يمدح سيف الدولة، ويقول إنك تؤثر رجالك وجنودك على نفسك، ليسلموا من أذى المعركة، وتدافع عنهم، وهذا غاية الكرم والشجاعة، في حين أن غيرك من الملوك يحتمون بعسكرهم وجنودهم ليدفعوا عنهم أذى الحرب، فيدفعوا بهم إلى أعدائهم ليسلموا، فالشاعر في هذا النص يجسد صورة القائد المثل الذي يتحلى

١- ديوان المتنبي، العكبري، ص ٦٤/٣.

بالقيم المثلى من شجاعة، وكرم، وإيثار، وتضحية، فهو في هذا السياق يستحضر ويستلهم حكاية تذكر عن سيف الدولة مع الأخشيد.

أما انسجام هذا التناص على صعيد المضمون فواضح من خلال المقارنة، أو المشابهة ما بين الحالتين، حالة سيف الدولة مع الأخشيد، وحالة معاوية مع علي، والمتمثلة في الشجاعة، والكرم، والدهاء، والقوة، وحالة سيف الدولة في صراعه مع الروم. "إن انسجام التناص في العمل الأدبي على الصعيدين الفني والموضوعي شرط أساسي لتماسكه، واتساعه، وترابط بنيانه، فالنص الذي يستحضر أو يقتبس أو يستوحى من المقروء الثقافي، لا بد أن يتناسب المقام الذي يطرح فيه وأن يؤدي وظيفته الفنية- لغة وأسلوباً وبناء ثم وظيفته الموضوعية- معنى وفكراً ومضموناً^(١).

ويجسد الشاعر بالتناص مع الحدث التاريخي رسم صورة المحبوبة المثال التي تتمثل بالرقعة والنعومة، فقد استلهم الشاعر قصة محاصرة سابور لصاحب الحصن، وخيانة ابنة صاحب الحصن لوالدها وتسليمها مفاتيح الحصن لسابور، فكانت من أجمل النساء، حيث بعثت إلى سابور تطلب منه الزواج مقابل تسليمه مفاتيح الحصن، فوافقها وعاهدها على ذلك، فدفعت بالمفاتيح إلى سابور فاستولى على المدينة والحصن، وتزوج بها، فبينما هي معه ذات ليلة على فراش الحرير

١- التناص التاريخي والديني: مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية في رواية (رؤيا) لهاشم غرابية، أحمد الزعبي، ص ١٧٨.

تألمت وقلقت فدعا الشمع ونظر إلى مضجعها، فرأى ورقة ورد على الفراش قد نالت من جسمها، فأثرت فيه، فقلقت لذلك، فقال لها: ما كان يغذيك به أبوك؟ فقالت له: لبّ البر بالعسل والخمر، فقال وكان جزاؤه مثل ما جازيته، فأخذها وشد ضفائرها إلى أذنان الخيل، ولم يزل يطرح الخيل حتى قطعها قطعاً^(١)، إن استلهم هذا الحديث التاريخي يرتبط بالفكرة التي يطرحها الشاعر في رسم صورة المحبوبة المدللة الرقيقة الناعمة، حيث يقول^(٢):

تألم درزُهُ والدرزُ لينٌ كما تتألمُ العَضْبُ الصنيعا

فالشاعر يمدح على بن إبراهيم التتوخي حيث بدأ قصيدته بمقدمة غزلية رائعة، ويقول: إنها رقيقة ناعمة، يوجعها درز القميص، كما يوجعها السيف لرقّة بشرتها فإذا نال جسمها موضع الخياطة ألمها وأوجعها. فالشاعر جعل المحبوبة نموذجاً للمدوح في الرقة واللين في تعامله مع أصحابه، ولكنه قوي البأس شجاع مهاب الجانب مع عدوه، فقد استلهم بالإيماء والتلميح نعومة ورقة ابنة صاحب الحصن وضمنها نصه للدلالة على الفكرة التي يطرحها، إن إحياءات هذا التناس ودلالاته اللغوية والأسلوبية والموضوعية، قد أدت بدقة وانسجام أغراضها ووظائفها الجمالية والفكرية في السياق الشعري الذي تداخلت فيه وتناصت معه، فكما أن رز

١- ديوان المتنبي، العكبري، ص ٢٥٢/٢.

٢- المصدر السابق نفسه، ص ٢٥١/٢.

الثوب يؤلم هذه المحبوبة كذلك فإن ورق الورد كان يؤلم ابنة صاحب الحصن لرقتها
ودلالها.

الخاتمة

الخلاصة

يعد التناسل من المصطلحات النقدية القديمة الجديدة، فقد تناوله كثير من النقاد الغربيين والعرب بالنقد والتحليل والتوضيح، وألوهعناية خاصة، كما وظفه الأدباء والشعراء في أعمالهم الأدبية شعرية كانت أم نثرية، ويلاحظ من خلال دراسة التناسل في شعر المتنبي بأنه ممتك لأدواته، وقد ظهر ذلك جليا في تعاطيه مع النصوص الغائبة بطرق مختلفة، فنجد تارة يقتبس من النص الغائب واقتباساً حرفياً، وأخرى يمتص جزئيات تناسله ويحاورها.

وقد بدت ثقافة المتنبي واضحة جلية في سعة اطلاعه الأدبي على الانتاج الشعري لشعراء العربية الذين سبقوه، وبدأ توظيفه لثقافته توظيفاً واعياً، في أغلب الأحيان، كما أن قرينه من المصادر الدينية كان واضحاً من خلال تأثره بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والشعر الذي أضاف إلى قاموسه الشعري كثيراً، وكذلك أثرت المصادر الدينية بشكل عام. كما اهتم المتنبي بالتاريخ بشكل واضح، وقد بدا ذلك الاهتمام من خلال ذكره لأحداث التاريخ في شعره، خاصة الأحداث الحالية التي في عصره والعهد القريب منه، للتعبير عما يكتنف الناس من شعور بالحياة التي يعيشون فيها، لقد عبر المتنبي عن ألم أمته وصور في شعره ما كانت ترزخ تحته من مظاهر

الشقاق والتناحر والذل. وقد صور في شعره الحياة القومية في عصره، وصور الحياة الأدبية والفكرية، وظهر فيه تصوير للصراع بين الحقائق الواقعية والمثل العليا والألم والأمل واليأس والرجاء، كما يلاحظ فيه صورة مشرقة لثورته النفسية التي كانت مليئة بالتشاؤم، ودعوته الاجتماعية النظرية التي تدعو للقوة والطموح. وشخصياته التي امتد عمرها الزمني إلى عصور قديمة، إذوظفها في شعره، بذكر ما تحمله من صفات وما يرتبط بها من أحداث وحكايات. كما بدا اهتمام المتنبي جلياً بالتراث الفكري، وخاصة فيما يتعلق بالأمثال والحكايات الشعبية، وهو ما لمستته الدراسة أثناء سعيها للكشف عن مظاهر حضور ذلك التراث في إنتاج المتنبي الشعري. وقد انعكس الغنى والتنوع الثقافي في شعر المتنبي، وظهر في قصائده صورة غاية في الإبداع، لم تنفصل عن التراث الأدبي العربي في مصادر التشريع والأدب.

النتائج:

- ١- يعتبر التراث الشعري الذي خلفه المتنبي مادة خصبة للدرس والبحث.
- ٢- بقي شعره معينا لا ينضب على مر العصور، على الرغم من الدراسات المتعددة والمختلفة التي انصبت حول حياته مرحلتها العباسية، وعلى شعره الغزير الذي نظمه في جميع الأغراض.

٣- يعتبر تصويره الفني البديع للأحداث السياسية، والحياتية مصدر لم يشبع نهم الباحثين، الذين ما فتئوا يتطلعون إلى المزيد من آثار هذا الشاعر.

٤- في هذه الدراسة إضافة جديدة لمفهوم التناص إلى صرح الدراسات السابقة، حيث ترصد الدراسة معان إبداع المتبني في توظيف التناص، من حيث تنوع مصادره، واختلاف أشكاله، وشعريته، بالإضافة إلى تسليط الضوء على إبداعه الشعري.

٥- تتيح الدراسة المجال لفهم أعمق لتجربة المتبني الشعرية، وربط ذلك الفهم برؤيته الفكرية، والتناص في شعره من الموضوعات التي تستحق الدراسة.

التوصيات:-

١- إجراء المزيد من الدراسات لشعر المتنبي خاصة والشعراء في العصر العباسي بشكل عام، الذين يعتبروا مصدراً تنمهي مادة التاريخ بأحداثها وشخصياتها مع مجموع ما تحمله الذاكرة الإنسانية من تجارب وخبرات تكون ثقافة الشاعر وتؤسس للإبداعه.

٢- تشجيع الأدباء، والكتاب والباحثين على تعلم أسلوب التناص في الكتابة بحيث يستدعي العقل مواد من الذاكرة الإنسانية والخبرات والتجارب بوعي أو بدون وعي ويسقطها على الواقع.

٣- التناص التاريخي والتي تعني: أن يوظف الشاعر بعض الحوادث والشخصيات التاريخية في شعره، ولعل الهدف منه تعميق رؤيته وفلسفته تجاه مواقف وأفكار يؤمن بها للحاجة إلى تدريسها في المساقات المتخصصة ليفهم ويطبق على واقع الحياة الحالية.

المصادر والمراجع: Reference & sources

- إبراهيم مجدي محمد شمي الدين، الأسطورة، مجلة آفاق عربية، العدد ٩، أيلول، ١٩٧٨.
- إبراهيم نبيه، الأسطورة، منشورات وزارة الثقافة والإسلام، العراق، ١٩٧٩، ص ٧٩.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الفتح الوهبي علي مشكلات المنتبي، تحقيق محسن عياض، بغداد، مطبعة الجمهورية البغدادية، ١٩٧٣.
- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق يوسف علي طويل، ومريم قاسم طول، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٢٠/١٠.
- ابن طباطبا، محمد أحمد، (١٩٨٢)، عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١.
- ابن منظور، أبي الفضل مجال الدين محمد بن مكرم، ٧١١هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ج ٤.
- أبو الخشب، إبراهيم، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، الاسكندرية، الهيئة المصرية للكتاب.
- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق مفيد قمحيه، ط ٢ (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤).
- إحسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموضوعات، بيروت، ١٩٩٩.
- أحمد الزعبي، التناص نظرياً وتطبيقياً (مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، الأردن، ط ٢، ٢٠٠٠).

- أحمد عثمان مغيول، على هامش الأسطورة الإغريقية في شعر السباب، الجزء الثاني، ع (٤) م (٣) يوليو، أغسطس، سبتمبر، ١٩٨٣.
- أحمد علي الجارم، علي الجارم لغويًا ونحويًا، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٨.
- أخبار وقضايا، مجلة شعر، ١٩٥٧، العدد الثالث، بيروت.
- إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، بيروت، دار العودة، ٢٠٠٧، ط٣.
- إسماعيل، عز الدين، نوابغ الغرب أبو الطيب المتنبي، د.ط، بيروت، دار العودة، ١٩٧٤.
- الأحمد، نهلة فيصل، (٢٠٠٢)، التفاعل النصي، النظرية والمنهج، كتاب الرياض.
- الأصفهاني، أبو القاسم، الواضح في مشكلات شعر المتنبي، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦.
- الأنصاري، شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا بن محمد، تحفة الباري بشرح صحيح البخاري، ضبط وتصحيح محمد أحمد عبد العزيز سالم، بيروت، دار ابن حزم، ط٢.
- البرقوق، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٠.
- البياتي، عادل، (١٩٩١)، أبنية التصييص الظاهر والخفية في الشعر قبل الإسلام، مجلة آداب المستنصرية، ٢١، ٢٠٤.
- الثعالبي، عبد الملك بن محمد، تميمية الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد قميحة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠، ط١.
- الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) الحيوان، عبد السلام هارون، المجتمع العربي الإسلامي، بيروت.

- الجرجاني، علي عبدالعزيز، الوساطة بين المتتبي وخصومه. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي، بيروت: دار القلم، (د ت).
- الجندي، أنعام، الرائد في الأدب العربي، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٦.
- الحاتمي، محمد بن الحسن، الرسالة الموضحة في ذكر السرقات أبي الطيب المتتبي وساقط شعره، تحقيق محمد يوسف النجم، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، ترايخ بغداد، القاهرة، دار الغرب الإسلامي، ١٠٢/٤.
- الروضان، عبد عون، موسوعة شعراء العصر العباسي، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع.
- الساعد، حسني، الحرب والفروسية في شعر أبي الطيب المتتبي، عمان، دار الضياء للنشر والتوزيع، ٢٠٠١.
- الشكعة، مصطفى، أبو الطيب المتتبي في مصر والعراقين، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٣.
- الطبراني، الحافظ نور الدين، كتاب مجمع البحرين في زوائد المعجمين، المعجم الأوسط، والمعجم الصغير للطبراني، تحقيق ودراسة عبد القدوس بن محمد، الرياض، مكتبة الرشيد، ١٩٩٥، ط١.
- الطويلي، أحمد، أبو الطيب المتتبي، تونس، مؤسسة عبد الكريم بن عبدالله للنشر والتوزيع.
- العكبري، أبو البقاء، ديوان أبي الطيب المتتبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعب الحفيظ شلبي، بيروت، دار المعرفة، ٢٠١٢، ط١.
- الفاخوري، حنا، الجامع في الأدب العربي، بيروت، دار الجليل، د.ت.
- الفضيله عبد الرحيم حسين، فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ (دار اليازوري لنشر والتوزيع، عمان).

- المحاسني، زكي، المتنبي، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
- المقدسي، أنيس، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١.
- أمل أحمد أحمد، ٢٠٠٥، التناص في رواية إلياس خوري باب الشمس) رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين.
- أنس داوود، الأسطورة في الشعر المعاصر، مكتبة عين شمس، القاهرة، د.ط. .
- أوغان، عمر، (١٩٩١)، مدخل لدارسة النص والسلطة، أفريقيا الشرق، ط ١.
- إيمان محمد أمين خضر الكيلاني، ٢٠٠٨، بدر شاكر السياب، دراسة أسلوبية لشعره، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- بريشارد، جيمس، أساطير بلييه، ترجمة سلمان التكريتي، مطبعة النعمان، العراق، ١٩٧٢.
- بك، محمد كمال، أبو الطيب المتنبي حياته، خلقة وشعره، دمشق، مكتبة سعد الدين.
- تيفين، صامبول، (د. ت.)، التناص ذاكرة الأدب، ترجمة د. نجيب غزاوي.
- جميل حمداوي، آليات التناص، مجلة أفق الثقافية، الثلاثاء، ١١/٧/٢٠٠٦.
- جوخان، إبراهيم عقلة، التناص في شعر المتنبي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ٢٠٠٦.
- حسن حسين، الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدلاسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨.
- حسن محمد حمادة، تداخل النصوص في الرواية العربية (القاهرة، الهيئة المصرية، العامة للكتاب، ١٩٩٧.

- حسنين فؤاد، مصنفنا الشعبي، دار الفكر العربي، ١٩٤٧.
- حسين أحم رشدي، بدر شاكر السياب، مأساته عارنا جميعاً (حوار، السنة الثالثة، العدد الثالث، آذار، نيسان، مارس ابريل، ١٩٦٥).
- حنا الفاخوري، ١٩٨٦، الجامع في تاريخ الأدب العربي، المجلد الثاني، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- خليل أحمد خليل، مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار ابن خلدون، بيروت، د.ت.
- داغر، شريل، (١٩٩٧)، التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري وغيره، م ح: ١٤، ٦.
- دنقل، أمل، (١٩٨٥)، الأعمال الشعرية الكاملة، ط٢، دار العودة، بيروت، ومكتبة مدبولي، القاهرة.
- ديوان امرئ القيس، حنا فاخوري، ط١ (دار الجيل، بيروت، ١٤٠٩هـ).
- رولان، بارت، (١٩٩٨)، نظرية النص، ترجمة، ملجي الشملي، حوليات الجامعة التونسية، جامعة تونس، ع٢٧.
- رياض العوادة، ظواهر التمرد الفني في الشعر العربي الحديث، ط١، دار معد للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٥.
- ريجيس بلا شير، أبو الطيب المتنبي: دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٥.
- زكي أحمد كمال، الأساطير دراسة حضارية مقارنة، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٨.

- زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٣، ص ١٤.
- شامي، يحيى، شرح ديوان المتنبي، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٩٧.
- شلبي، محمد اسماعيل، مقدمة القصيدة عند أبي تمام والمتنبي، القاهرة، دار غريب للطباعة.
- صموئيل نوح كيرير، الأساطير السومرية، ترجمة يوسف داوود عبد القادر، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧١.
- ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
- طه باتر، ملحمة جلجامش، مطابع الجمهورية، بغداد، ١٩٧١، ط ٢، ص أنس داوود، الأسطورة في الشعر العربي الحديث، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٩.
- عباس، إحسان (١٩٧٨) اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، الكويت.
- عبد الباسط أحمد محمد مرشدة، التناص في الشعر العربي الحديث دراسة نظرية تطبيقية.
- عبد الجبار عباس، الحب والمرأة في شعر السياب (الأدب، السنة الرابعة عشر، ع (٢) شباط، ١٩٦٦.
- عبد الكريم حسن، الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣.
- عبد الله الفدّامي، ثقافة الأسئلة في مقالات النقد والنظرية، ط ٢، (دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٣).

- عز الدين إسماعيل، حسب الشيخ جعفر، سيادة لاموقف الدرامي، داخل القصيدة العربية، الأقاليم، السنة ١٣، العدد ٢، بغداد.
- عزام، عبد الوهاب، ذكر أبي الطيب بعد ألف عام، بغداد، مطبعة الجزيرة، ١٩٩٦.
- علوي الهاشمي، أسطورتا عشتار - تموز في شعر بدر شاكر السياب، دراسات، العدد الثالث، السنة الثانية، ١٩٩١، الإمارات.
- علي الشرع، قراءة في أنشودة المطر للسياب (مجلة أبحاث اليرموك، م ٣، ٢٤، ١٩٨٦).
- علي بن حمزة أحد الأئمة في الأدب وروى عنه ابن جني شيئاً من أخبار المتنبي لأن المتنبي عندما ورد بغداد نزل ضيفاً عليه إلى أن رحل.
- علي جواد، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ١٩٧٠، ج ٥.
- علي فاضل عبد الواحد، سومر أسطورة وملحمة، دار الشعب للطباعة، القاهرة، ١٩٥٦.
- غانم، رولا خالد، الآخر في شعر المتنبي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠١٠.
- فاضل ثامر، الصوت الآخر، الجوهر الحواري للخطاب الأدبي، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢.
- فراس السوارح، الأسطورة والمعنى، دار علاء الديو، دمشق، ط ٨، ١٩٩٧.
- فضل، صلاح، مناهج النقد المعاصر، القاهرة، دار الآفاق الدينية، ١٩٩٧، ط ١.
- قدير، ذياب، (د.ت.) المتنبي بين الاغتراب والثورة.

- كريستيفا، جوليا، (١٩٩١)، علم النص، ترجمة فؤاد الزاهي، دار توبقال، المغرب.
- ليبيا وعبد الله، التناس المعرفي في شعر عز الدين المناصرة، ط١، (جار مجدلاوي، الأردن، ٢٠٠٥).
- ماجد صالح السامرائي، بدر شاكر السياب، شاعر عصر التجديد الشعري، مركز دراسات الوحدة العربية، سير وأعلام، ٢٠١٢..
- محمد العبد حمود، الحداثة في الشعر العربي المعاصر، ط١، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٦.
- محمد بينس، الشعر العربي المعاصر، ط١ (دار العودة، ١٩٧٩).
- محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتناصية، ط١ (مركز الإنماء الحضاري، حلب، ١٩٩٨).
- محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني (الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط١، ١٩٩٥).
- محمد عزام، النص الغالب (منشورات اتحاد الكتب العرب، دمشق، ٢٠٠١).
- محمود العبطة، بدر شاكر السياب والحرية الشعرية الجديدة، مطبعة المعارف، بغداد، نقلاً عن مجلة فنون ١٩٥٧، العدد، ٢٢، ١٩٦٥.
- مظهر سليمان، أساطير من الشرق، مطابع الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت.
- مناع، هاشم (٢٠١١)، حكم المتنبي أبي الطيب المتنبي (٣٠٣-٣٤٥هـ)، دراسة وتوثيق، جميع وتصنيف، وشرح وتعليق.
- مهماسبي، عدنان، الأسطورة عند شعراء مصر المعاصرين (مجلة اللغة العربية وآدابها، عدد ٢، صيف وخريف).

- مي نايف، الخطيئة والتفكير والخلاص، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥)، ص ٢٢٦.
- ميساء الخواجا، ٢٠٠٩، تلقي النقد العربي الحديث للأسطورة في شعر بدر شاكر السياب، النادي الأدبي، الرياض.
- ناجي، مجيد عبد الحميد (١٩٨٤) الصورة الشعرية، الإحكام، السنة ١٩، عدد ٧٤، بغداد.
- نبيله ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مطبعة دار العلم للملايين، القاهرة، د.ت.
- نصر الله، إبراهيم الزعبي، أحمد، دلالات التناسل في قصيدة (راية قلب) مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠٠٥، ط ١، ٢(٥): ٢٠٠-٢٤٠.
- نعيم اليافي، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٩٠.
- نهلة الأحمد، التفاعل النصي، مجلة كتاب الرياض، دون ط (مؤسسة اليمامة الصحفية، السعودية، عدد ٢٠٠، ١٤).
- هشام يحيى الملاح، وآخرون، دراسات في فلسفة التاريخ، دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، د.ت.
- ولز، ه، ج، معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٦، ج ١، ط ٢.
- يسري حسين، ٢٠١١، التناسل في شعر حميد سعيد، دار دجلة، عمان.
- يوسف أحمد الشبراوي، أطلس المتنبي (أسفاره من شعره وحياته) عمان، دار الفارس للنشر، ٢٠٠٣.